التضمين في القرآن الكريم
قراءة جديدة ودراسة تطبيقية لشواهد قرآنية مختارة

م.د.عبد الجبار فتحي زيدان
قسم اللغة العربية
كلية التربية / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٤/١١/٢٠١١ ؛ تاريخ قبول النشر: ١٥/٣/٢٠١٢

ملخص البحث:

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد ، فقد كثر ما كتب الباحثون المحدثون في موضوع التضمين في القرآن الكريم ، على أنَّه من المواضيع النحوية الأصيلة ، تقليدًا للنحاة القدامى ، وهو في الحقيقة قول مختَلَق ، ومصنوع، ترتَّب على الأخذ به في إعراب القرآن الكريم وتفسيره مآخذ .

واشتمل البحث على أربعة مباحث وخاتمة ، تناولتُ في المبحث الأول ، تعريف التضمين وذكر الغرض منه ، وتضمَّن المبحث الثاني ، عرض شواهد قرآنية مختارة من التضمين وشرحها ، أمَّا المبحث الثالث ، فقد تطرقتُ فيه إلى ربط التضمين ببلاغة القرآن الكريم، وتكلمتُ في المبحث الرابع ، على علاقة التضمين بالقول بالنصب على نزع الخافض.

Inclusion in the Holy Quraan
ANed Reading and Applicative Sstudy for Chosen Quranic Evidences

Lect. Dr. Abduljabar Fathi Zeydan
Department of Arabic Language
College of Education / Mosul University

Abstract:

In the name of Allah, thanks for Allah, blessing and peace be upon his messenger, on his family and his companions and his followers.

What was written by modern researchres on the subject of inclusion in the Holy Quraan , had increased on the basis of treating it as on original grammatical subject and imitating the old grammarians In fact , it is a fabricated subject , and it was followed in the analysis and explaining of the Holy Quraan .

The research included four section and a conclusion, the first section dealt with the definition of the inclusion and its aims The second one included presenting and explaining some chosen Quranic evidences. In the third section , the researcher tackled correlating inclusion with the Holy Quraan eloquent. As for the fourth section, it dealt with the relation of inclusion with the subjenctive mood saying on avulsion of the object .

المبحث الأول:

التعريف بالتضمين والغرض منه

التضمين في الشعر:

((المضمَّن من الشعر : ما لم يتمَّ معنى قوافيه إلاَّ في الذي قبله أو بعده)) (١)

والتضمين أيضًا : ((هو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن كلام فيكون جزءًا منه)) (٢)

التضمين في اللغة:

جاء في العين : ((وكل شيء أُحرِز فيه شيء ، فقد ضمَّنته ٠٠٠ وتضمَّنته الأرض والقبرُ والرَّحِمُ ، وضمَّنته القبرَ)) (٣)

وقال ابن فارس : ((الضاد والميم والنون أصل صحيح ، وهو جعل الشيء في شيء يحويه ، من ذلك قولهم : ضمَّنتُ الشيءَ ، إذا جعلته في وعائه ، والمضامين : ما في بطون الحوامل)) (٤) ((وفهمتُ ما تضمَّنه كتابُك : أي : ما اشتمل عليه ، وكان في ضمنه)) (٥)

التضمين في النحو

ومعنى التضمين في النحو جاء استنادًا إلى معناه في اللغة قال سيبويه : ((وسمَّيتُه زيدًا ٠٠٠ وسميَّتُه بفلان ، كما تقول : عرَّفتُه بهذه العلامة ، وأوضحته بها)) (٦) وقال المبرد : ((كما تقول : نبَّأتُ زيدًا يقول ذاك ، ونبَّأتُ عن زيد ، فيكون مثل : أعلمتُ زيدًا ، ونبَّأتُ عن زيد ، مثل : خبَّرتُ عن زيد)) (٧) وقال ابن جني : ((باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض ٠٠٠وذلك أنَّهم يقولون : إنَّ (إلى) بمعنى (مع) ٠٠٠ ويقولون : إنَّ (في) تكون

---

(١) العين ص ٥٥٤، وينظر : المحكم لابن سيده ٨/٢١٥-٢١٦ .

(٢) المثل السائر لابن الأثير ٢/٢٨٧ .

(٣) ص ٥٥٤ .

(٤) مقاييس اللغة ص ١١٧ ، وينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٩٣-٩٤ .

(٥) الصحاح ص ٨٢٦ .

(٦) كتاب سيبويه تحقيق هرون : ١/٣٨ ، وتحقيق بديع : ١/٧١-٧٢ .

(٧) المقتضب ، ٤/٣٣٨ .

بمعنى (على))) (١)وقال الزركشي : ((التضمين وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف ، فأمَّا في الأسماء فهو أن تُضمِّن اسمًا معنى اسم آخر ... وأمَّا الأفعال فأن تُضمِّن فعلا معنى فعل آخر)) (٢)

وبيَّن النحاة الغرض من قولهم بالتضمين فقد ذهب سيبويه كما تقدَّم إلى أنَّ الأصل في الفعل (سمَّى) أن يتعدَّى إلى مفعولين بنفسه ، نحو ما مثَّل : سمّيَتُه زيدًا ، هذا هو الأصل الذي لا يجوز أن يحاد عنه ، فإذا تعدَّى إلى الثاني بحرف الجر وجاء في اللغة نحو ما مثَّل : سمّيَتُه بفلان ، فإنَّما كان ذلك من تضمن (سمَّى) معنى فعل آخر ، هو معنى (عرَّف) ؛ لأنَّ (عرَّف) يتعدَّى إلى الثاني بحرف الجر ، وقال ابن جني : ((اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر ؛ فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ؛ إيذانًا بأنَّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ؛ فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد ، مع ما هو في معناه وذلك كقول الله عز اسمه : **(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ){البقرة :١٨٧}** وأنت لا تقول : رفثتُ إلى المرأة ، وإنَّما تقول : رفثتُ بها ، أو معها ؛ لكنَّه لما كان الرفث هنا بمعنى الإفضاء ، وكنتَ تعدى (أفضيتُ) بـــ(إلى) كقولك : أفضيتُ إلى المرأة ؛ جئتَ بـــ(إلى) مع الرفث إيذانًا وإشعارًا إنَّه بمعناه)) (٣)

وقال أيضًا بعد أن استشهد بآيات من كتاب الله العزيز في باب التضمين : ((ووجدتُ في اللغة من هذا الفن شيئًا كثيرًا ، لا يكاد يحاط به ، ولعله لو جُمع أكثره لا جميعه لجاء كتابًا ضخمًا ، وقد عرفتَ طريقه ... وفيه أيضًا موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد ، حتى تكلَّف لذلك أن يوجد فرقًا بين (قعد) و (جلس) وبين (ذراع) و(ساعد)، ألا ترى أنَّه لما كان (رفث بالمرأة) في معنى (أفضى إليها) جاز أن يتبع (الرفث) الحرف الذي بابه باب الإفضاء ، وهو (إلى))) (٤)

فالتضمين إذن قائم على أساس ترادف الألفاظ ترادفًا تامًّا ، وهذا ما صرَّح به ابن جني بكل جلاء

وقال الزركشي : ((التضمين وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف ، فأمَّا في الأسماء فهو أن تُضمِّن اسمًا معنى اسم ؛ لإفادة الاسمين جميعًا كقوله تعالى : **(حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ){الأعراف : ١٠٥}**

---

(١) الخصائص ٢/ ٩١

(٢) البرهان في علوم القرآن ص ٦٥٤

(٣) الخصائص ٢/ ٩٢.

(٤) الخصائص ٢/ ٩٤ .

ضمَّن (حقيق) معنى (حريص) ليفيد أنَّه محقوق بقول الحق وحريص عليه، وأمَّا الأفعال فأن تُضمِّن فعلا معنى فعل آخر ، ويكون فيه الفعلين جميعًا ، وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف، فيأتي متعديًا بفعل آخر ، ليس من عادته التعدي به ؛ فيحتاج إمَّا إلى تأويله ، أو تأويل الفعل ليصح تعديه به ، وذهب المحققون إلى أنَّ التوسع في الفعل وتعديته بما لا يتعدى ؛ لتضمنه ما يتعدى بذلك الحرف أولى ؛ لأنَّ التوسع في الأفعال أكثر ، مثال قوله تعالى : **(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا){الإنسان : ٦}** فضمن (يشرب) معنى (يروى) ؛ لأنَّه لا يتعدى بالباء ؛ فلذلك دخلت الباء ، وإلاَّ فـ(يشرب) يتعدى بنفسه فأُريد باللفظ الشرب والري معًا ، فجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد ، وقيل التجوز في الحرف ، وهو الباء، فإنَّها بمعنى (من) وقيل لا مجاز أصلاً ؛ بل العين ها هنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء ، لا إلى الماء نفسه ، نحو نزلتُ بعين ، فصار كقوله : مكانًا يشرب به)) (١)

وقال أيضًا : ((ومن التضمين قوله تعالى : **(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ){البقرة :١٨٧}** ؛ لأنَّه لا يقال : رفثتُ إلى المرأة ؛ لكن لما كان بمعنى الإفضاء ساغ ذلك ...وقوله تعالى : **(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ){الأعراف : ١٦}** قيل (الصراط) منصوب على المفعول به : أي : لألزمنك صراطك ، أو لأملكنَّه لهم ، و(أقعد) وإن كان غير متعد ضُمِّن معنى فعل متعد ... وقوله : **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ){المائدة : ٥٤}** فإنَّه يقال : ذلَّ له ، لا عليه ؛ ولكن هنا ضُمِّن معنى التعطف والتحنن)) (٢)

فالغرض من التضمين إذن جاء لحلِّ مشكلة تعدِّي ما لا يتعدَّى من الأفعال ، ذلك بتضمينه أيَّ فعل كان من الأفعال المتعدِّية القريبة من معناه ، وكذلك لحلِّ مشكلة مجيء الفعل المتعدِّي لازمًا ، ويكون بتضمينه أيَّ فعل كان من الأفعال اللازمة القريبة من معناه ، وهذا هو المأخذ الأول من التضمين ، وهو أنَّ النحاة قالوا به لحلِّ مشكلة لفظية ، والمأخذ الثاني : أنَّه قد نشأ من القول بالتضمين تحريف المعنى ، وتغيير الدلالة ، والمأخذ الثالث: أنَّه اضطر النحاة إلى القول بترادف الألفاظ والتراكيب ، وهذا ما صرَّح به ابن جني آنفًا ، وفي ذلك يقول ابن مالك: ((فإنَّ الفعلين قد يتحدان معنى ، وأحدهما متعدٍّ والآخر لازم ، كصدَّقتُه وآمنتُ به، ونسيتُه وذهلتُ عنه ، وحببتُه ورغبتُ فيه ، واستطعتُه وقدرتُ عليه ، ورجوتُه وطمعتُ فيه، وتجنبتُه وأعرضتُ عنه)) (٣)

---

(١) البرهان في علوم القرآن ص ٦٥٣ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ص ٦٥٤ -٦٥٥ .

(٣) شرح التسهيل ٨٦/٢ .

وهذا مأخذ كبير ؛ لأنَّه لا بدَّ من أن يكون بين كل تركيبين من التراكيب المذكورة ونحوها، فروق معنوية وإن دقتْ ، وإنَّ بلاغة القرآن الكريم قامت بصفة أساسية على استعمال هذا الفعل من دون أن يستعمل مرادفه ، فالقول بتساوي دلالاتها يُعَدُّ هنا أيضًا في باب التضمين، إماتة للجانب البلاغي في القرآن الكريم الذي تمثَّل فيه سر إعجازه ، والقول بهذا الترادف الذي من شأنه هدم الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، قد أصبح قولاً شائعًا عند النحاة بحجة التضمين ، قال المرادي : ((وأكثر ما يكون التضمين فيما يتعدَّى بحرف جر، فيصير متعدِّيًا بنفسه ، ومن النحويين من قاس ذلك ... ومنهم من قصره على السماع)) (١)

المبحث الثاني
شواهد التضمين في القرآن الكريم

ومآخذ القول بالتضمين التي تقدم ذكرها قد يكون هيِّنًا إذا اقتصر على شعر العرب ، أمَّا إذا تجاوز هذا الحد إلى القرآن الكريم ، فهذا ما لا يجوز السكوت عليه ، ومما يجدر ذكره قبل دراسة هذه الشواهد أن أنبه على قضيتين :

الأولى : أنَّ انواع التضمين الثلاثة التي ذكرها الزركشي ، لا يمكن أن يُعوَّل عليها في تقسيم هذا المبحث ؛ لأنَّ المفسرين غالبًا ما اختلفوا في تحديد نوع التضمين في الشاهد القرآني نفسه.

الثانية : أنَّ شواهد التضمين في اللغة والقرآن الكريم كثيرة يصعب إحصاؤها ، وهذا ما صرَّح به ابن جني كما تقدَّم (٢) لذلك سأختارعددًا من هذه الشواهد في هذا الباب ؛ ولا سيما التي مرَّ ذكرها ؛ لتكون نماذج لشواهد كثيرة قد يصعب عليَّ ، وعلى غيري من الباحثين حصرها، ومن الله الهدى والسداد

١ -قال الله تعالى : (حَقِيقٌ عَلَي أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ){الأعراف : ١٠٥}

قرأ نافع (حقيق عليَّ) بتشديد الياء وفتحها ، وقرأ الباقون (حقيق على) بالألف على أنَّها حرف جر دخلت على (أن) (٣)

---

(١) شرح التسهيل ص٤٣٨ .

(٢) الخصائص٢/٩٤ .

(٣) ينظر : كتاب معاني القراءات ، للأزهري ص ١٨٤ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٤٧٠ ، وغيث النفع ص ٢٤٦ .

قال الفرأء : ((وفي قراءة عبد الله : حقيق بأن لا أقول على الله ، حجة من قرأ (على) ولم يضف ، والعرب تجعل الباء في موضع (على) ، رميتُ على القوس وبالقوس ، وجئتُ على حال حسنة ، وبحال حسنة)) (١)

ويعني بقوله ((ولم يضف)) : لم يضف (على) إلى ياء المتكلم ، وتبع الفراء في تأويله هذا : الأخفش (٢)، والطبري (٣)، وأبو جعفر النحاس (٤)، وأبو علي النحوي (٥)، والواحدي (٦)، وابن عطية (٧)، وأبو البركات بن الأنباري (٨) وقال ابن عاشور ((أحسنها قول الفراء ٠٠٠ أنَّ (على) هنا بمعنى الباء)) (٩)

وما قاله الفراء ، ومن تبعه يدخل في باب تضمين حرف معنى حرف آخر ، وما قال به الزركشي ، قد قيل به من قبل أيضًا ، فقد قال أبو عبيدة : ((ومن قرأ (حقيق على أن لا أقول) ولم يضف (على) إليه ، فإنَّه يجعل مجازه مجاز : حريص على أن لا أقول)) (١٠) وهذا من باب تضمين اسم معنى اسم آخر .

والحقيقة أنَّه ليس في الآية أيُّ تضمين كان ، وأنَّه لا يصح أن تكون (على) بمعنى الباء، ولا (حقيق) بمعنى (حريص) بل لكل منهما دلالتها المستقلة من دلالة غيرها ، وثمة حقيقة لغوية يمكن أن نستقرئها من كلام العرب ، وهي أنَّ حروف الجر التي تتعدى بها الأفعال ، غالبًا ما تصبح معانيها متقاربة ، في كثير من التراكيب ، وليست مترادفة، ومن المعلوم أنَّ العربي في كلامه ، كثيرًا ما يقصد معاني عامة ، يمكن أن يصل إليها باستعمال عدة حروف ، من ذلك ما استشهد به الفراء : ((والعرب تقول : جئتُ على حال حسنة، وجئتُ بحال حسنة)) فاستعمال (على) هنا مرة ، والباء مرة أخرى ، لا يعني ترادفهما البتة، وإنَّما

---

(١) معاني القرآن ٢٥٩/١ .

(٢) ينظر : معاني القرأن ص ١٩٧ .

(٣) ينظر : جامع البيان ١٩/٩ .

(٤) ينظر : إعراب القرآن ص ٣١٦ .

(٥) ينظر : الحجة ٣/ ٣٧-٣٨ .

(٦) ينظر : الوسيط ٣٩٢/٢ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز ٢/ ٤٣٥ .

(٨) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٢٦٩/١ .

(٩) التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٥

(١٠) مجاز القرآن ص ٩١ ، وينظر : جامع البيان للطبري ١٩/٩ .

جاز وضع أحدهما في موضع الآخر ؛ لأنَّ كليهما يوصل المتكلم العربي إلى المعنى العام الذي يروم التعبير عنه ، فكل ما يريده المتكلم هنا مثلاً هو التعبير عن حسن حاله عند مجيئه، سواء توصَّل إليه بالباء التي تفيد معنى الإلصاق ، وقال : جئتُ بحال حسنة ، أو توصَّل إليه بـ(على) التي تفيد معنى الاستعلاء، وقال : جئتُ على حال حسنة ، أو توصَّل إليه باستعمال (في) التي تفيد معنى الدخول في الشيء ، وقال : جئتُ في حال حسنة

وهذا جائز وحاصل في كلام البشر ، لكنه غير جائز ، وغير حاصل في كلام الله، فالقرآن الكريم لم يستعمل لفظًا بمعنى لفظ آخر ، مهما بدا أنَّه قد وضع في موضع اللفظ الآخر: ومهما بلغت درجة ترادفهما في نظر الباحثين والدارسين ، من ذلك ما قيل من تضمين (حقيق) معنى (حريص) (١) فلو أنَّ القائلين بالتضمين أنعموا في البحث في قضية تعدي (حقيق) بـ(على) لتوصلوا إلى ما يغنيهم عن تبني هذا القول ، فقد صرَّح أبو علي النحوي بجواز تعدي (حقيق) بـ(على) بكلتا القراءتين على حد سواء (٢) واستبعد ابن عطية تضمين (حقيق) معنى (حريص) (٣) وقد ذكر الزمخشري أربعة أوجه في تأويل تعدي (حقيق) بـ(على) ، وقال عن الوجه االرابع : ((وهو الأوجه الأدخل في نكت القرآن أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام ولا سيما قد روي أنَّ عدو الله فرعون قال له ، لما قال (إني رسول من رب العالمين) كذبتَ ، فيقول : أنا حقيق على قول الحق ، أي ۰۰۰۰ أن أكون أنا قائله ، والقائم به)) (٤)

وكيف يصح تضمين (حقيق) معنى (حريص) والدلالتان مختلفتان ، لأنَّ (حقيق) من (الحق) والحق : في اللغة : ((نقيض الباطل)) (٥) و((خلاف الباطل)) (٦) وليس في لفظ (الحرص) شيء من هذه الدلالة ، وما دل عليه لفظ (الحق) في اللغة ، هو المعنى الذي أراد أن يعبر عنه موسى عليه السلام ، وأراد أن يعبر أنَّ هذا الحق واقع على ما ادعاه ، ومتمكنٌ منه ، لا ملتصقٌ به ؛ لذلك عداه بـ(على) لا بالباء ، والجدير بالذكر أنَّه قد جاء في العين للفراهيدي : ((الحق : نقيض الباطل ، حقَّ الشيء يحقُّ حقًّا ، أي : وجب وجوبًا ، وتقول :

---

(١) ينظر : مجاز القرآن ص ٩١ ، وينظر : جامع البيان للطبري ١٩/٩ ، والبرهان للزركشي ص ٦٥٣ .

(٢) ينظر : الحجة في علل القراءات السبع ٣/ ٣٧-٣٨

(٣) ينظر : المحرر ٤٣٥/٢ .

(٤) الكشاف ١٣٣/٢ .

(٥) العين ص ٢٠١ .

(٦) الصحاح ص ٢٤٩

يحق عليك أن تفعل كذا ، وأنت حقيق على أن تفعله)) (١) فعيَّن تعدي (حقيق) بـ(على) مع إضافة (على) إلى (أن) ، كما جاء تمامًا في قراءة (حقيق على أن لاأقول)

فليس إذن في الآية تضمين اسم معنى اسم آخر ، ولا تضمين حرف معنى حرف آخر.

٢ -قال الله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ){البقرة :١٨٧}

مرَّ قول ابن جني : ((وأنت لا تقول : رفثتُ إلى المرأة ، وإنَّما تقول : رفثتُ بها، أو معها ؛ لكنَّه لما كان الرفث هنا بمعنى الإفضاء ، وكنتَ تعدى (أفضيتُ) بـ(إلى) كقولك : أفضيتُ إلى المرأة ؛ جئتَ بـ(إلى) مع الرفث إيذانًا وإشعارًا إنَّه بمعناه)) (٢) ومثل هذا قال ابن سيده (٣) ونسب الواحدي إلى الأخفش قوله : ((إنَّما عداه بـ(إلى) لأنَّه بمعنى الإفضاء)) (٤) وجاء في الدر المصون : ((وعدّى (الرفث)بـ(إلى) وإنما يتعدى بالباء لما ضُمِّن من معنى الإفضاء ، كأنَّه قيل : أُحِلَّ الإفضاء إلى نسائكم بالرفث)) (٥)

والتضمين الذي قيل به في هذه الآية قائم على أساس أنَّ الرفث والإفضاء لفظان مترادفان ، والحقيقة أنَّ بينهما فرقًا في الدلالة ، فـ((الرفث : كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من أهله)) (٦) وقال ابن فارس: ((الراء والفاء والثاء : أصل واحد ، وهو كل كلام يُستحيا من إظهاره)) (٧) وقال ابن سيده : ((الرفث : الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته ، يعني التقبيل ، والمغازلة ونحوهما مما يكون في حال الجماع)) (٨)

هذه دلالة الرفث ، أمَّا الإفضاء ، فقد قال الفراء : ((الإفضاء : أن يخلو بها وإن لم يجامعها)) (٩) وهو المجامعة عند أبي عبيدة (١٠) وقال الزجاج : ((الإفضاء : أصله الغشيان،

---

(١) ص ٢٠١ .

(٢) الخصائص ٢/ ٩٢.

(٣) ينظر : المحكم ١/ ١٤١ ، ولسان العرب ٦/ ١٨٨ .

(٤) الوسيط ٢٨٦/١ .

(٥) ٢٩٢/٢ ، وينظر : أنوار التنزيل ، تفسير البيضاوي ١٢٦/١ .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري : ١٤٣٧/٢

(٧) مقاييس اللغة : ص ٣٤٥ .

(٨) المحكم : ١٤١/١٠

(٩) معاني القرآن : ١٨٢/٢ .

(١٠) مجاز القرآن : ص ٥٧ .

وقال بعضهم : إذا خلا فقد أفضى ، غشي أو لم يغش)) (١) وجاء في تهذيب اللغة : ((ويقال: أفضى فلان إلى فلان : إذا وصل إليه ، وأصله أنَّه صار في فرجته وفضائه٠٠٠ وعن ابن الأعرابي: أفضى الرجل : دخل على أهله ، قال : وأفضى أيضًا : إذا جامعها، قال: والإفضاء في الحقيقة : الانتهاء ، ومنه قول الله ، جل وعز ، : **(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا){النساء : ٢١}** أي : انتهى وأدَّى ، ويقال: أفضى الرجل جاريته : جامعها)) (٢) ((ويقولون : أفضى الرجل إلى امرأته : باشرها٠٠٠ وأفضى إلى فلان بسرِّه إفضاءً)) (٣) ((وأفضيتُ إلى فلان بسرِّي ، وأفضى الرجل امرأته: باشرها وجامعها)) (٤)

فهذه دلالة الإفضاء : خلو الرجل بامرأته ، أو مجامعتها ، وعندها تتكشف للرجل أسرارها الأُنثوية ، فإذا طلقها في هذه الحال ، استحقت أن تأخذ من الرجل المهر كله ؛ ثمنًا لانكشاف سرها له ، ولمجامعها وفض بكارتها ، فاستعمال لفظ (الإفضاء) ، هو الملائم هنا لسياق الآية في سورة النساء ، أمَّا الآية الواردة في سورة البقرة ، فهي في سياق الصيام ، ومما يستلزم فيه: الصوم عن الفحش في الكلام ، والنظر إلى ما حرم الله من عورات النساء ، أو مغازلتهنَّ أو تقبيلهنَّ أو مجامعتهنَّ ، وقد ظن بعض الصحابة أنَّ هذه الأمور ، كما هي محرَّمة عليهم في النهار، فهي كذلك محرَّمة عليهم في الليل مع زوجاتهم ، فكان من المناسب أن يستعمل لفظ (الرفث) الذي يدل على ما تقدَّم ذكره

فبين (الرفث) و(الإفضاء) فرق واضح في الدلالة ، ولكل منهما سياقه وموضعه ، مع أنَّه من الجائز استعمال دلالة هذا الحرف مع (الرفث) ؛ لأنَّ المراد إحلال رفثهم الموجه إلى نسائهم ليالي الصيام ، كما أنَ القول بأنَّ (الرفث) يتعدى بالباء ، ولا يتعدى بـ(إلى) يردُّه ما جاء في كتاب العين للفراهيدي : ((الرفث : الجماع ، رفث إليها وترفَّث)) (٥)

٣ -قال الله تعالى : (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){النور : ٦٣}

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٢/٢٦ .

(٢) ٣/٢٧٩٦ .

(٣) مقاييس اللغة : ص ٧٣٩ .

(٤) الصحاح : ص ٨١٤ .

(٥) ص ٣٥٩ .

قال أبو عبيدة : ((مجازه : يخالفون أمره ، و(عن) زائدة)) (١) وقال الطبري: ((وأُدخلت (عن) لأنَّ معنى الكلام : فليحذر الذين يلوذون عن أمره ، ويدبرون عنه معرضين)) (٢) وقال الواحدي : ((أي : يعرضون عن أمره ، ودخلت (عن) لتضمن المخالفة معنى الإعراض)) (٣) وقال العكبري : ((قوله تعالى (عن أمره) الكلام محمول على المعنى؛ لأنَّ معنى (يخالفون) يميلون ويعدلون)) (٤) وقال الزمخشري : ((الذين يخالفون عن أمره) الذين يصدون عن أمره٠٠٠ والمعنى : عن طاعته ودينه)) (٥) وأوّل ابن عطية قوله تعالى (يخالفون عن أمره) بأنَّ ((معناه يقع خلافهم بعد أمره ، وهذا كما تقول : كان المطر عن ريح)) (٦) وقال أبو حيان : ((ضمّن (خالف) معنى (صدَّ) و(أعرض) فعدَّاه بـ(عن))) (٧)

وقال الدكتور فاضل السامرائي : ((وللتضمين صور أخرى ، فقد يضمَّن فعل متعد معنى فعل لازم كقوله تعالى : **(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ)**{**النور : ٦٣**} فإنَّ (خالف) فعل متعد يقال : خالفتُ أمره ، ولا يقال : خالفتُ عن أمره ، ولكن ضُمِّن معنى الابتعاد والخروج والانحراف ، كأنَّه قال : فليحذر الذين يبتعدون عن أمره ، أو ينحرفون عن أمره)) (٨)

تبيَّن مما سبق ذكره أنَّ النحاة والمفسرين من أجل القول بالتضمين في الآية المذكورة، ضمنوا (يخالفون) معنى (يلوذون ويدبرون) كما قال الطبري ، أو (يعرضون) كما قال الواحدي، أو (يصدون) كما قال الزمخشري ، أو(يميلون ويعدلون) كما قال العكبري ، أو (يبتعدون وينحرفون) كما قال الدكتور فاضل السامرائي ، ومن الجائز أيضًا تضمينه معنى (يرغبون) ويكون التقدير: فليحذر الذين يرغبون عن أمره .

فأنت ترى كيف أنَّ النحاة والمفسرين ، رأوا أنَّ تعدّي (يخالفون) إلى مفعوله بـ(عن) ، مشكلة لفظية ؛ لأنَّ هذا الفعل عندهم يتعدى إلى مفعوله بنفسه لا بـ(عن) ، فأرادوا أن يحلوا

---

(١) مجاز القرآن ص ١٨٩ .

(٢) جامع البيان : ٢١١/١٨ .

(٣) الوسيط : ٣٣١/٣ .

(٤) التبيان :٢٥٦/٢ .

(٥) الكشاف . ٢٥٣/٣،

(٦) المحرر : ١٩٨/٤ .

(٧) البحر المحيط : ٥٧٨/٦ .

(٨) معاني النحو ١٣/٣ .

هذا الذي عدوه إشكالاً بتضمين الفعل (يخالفون) أيّ فعل كان من الأفعال القريبة من معناه ، ويتعدى مثله إلى مفعوله بالحرف نفسه .

وأرى أن يبقى الفعل (يخالفون) على معناه ، من غير تقدير ولا تضمين ، ثم بعد ذلك ندرس قضية تعديه بـ(عن) .

قال الطبري : ((واللواذ هو أن يلوذ بعضهم ببعض ، يستتر هذا بهذا ، كما قال الضحاك)) (١) وقال الزمخشري : ((يتسللون قليلاً قليلاً ... واللواذ : الملاوذة ... يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية ، على سبيل الملاوذة ، واسستتار بعضهم ببعض)) (٢) فهذا عمل المنافق الذي لا يستطيع أن يترك حلقة الاجتماع لشأن الجهاد علنًا ، خوفًا من أن يُفضح أمره ، أو يتعرض للمساءلة والحساب ، فيلتجئ إلى الهروب من هذا الاجتماع ، بالطريقة التي ذكرها المفسرون ؛ فلما كانوا كذلك ، كان من المناسب أن يعبِّر عن مخالفتهم هذه باستعمال (عن) التي تفيد معنى المجاوزة ، وهو ما يقابل حركة تسللهم خفية ، ولو لم يستعمل (عن) وقال : يخالفون أمر الله ، لكان المراد المخالفة الصريحة ، التي تقتضي الإعلان بها ، ومن دون خوف ، أو حياء ، أو نفاق ، وجاء بفعل المخالفة على وزن (يفاعلون) ؛ لأنَّه أراد المشاركة في معنى هذا الفعل بين طرفين ، وهذا ما لم يتوافر في أيٍّ فعل من أفعال التضمين التي ذكروها ، قال الزمخشري : ((يقال : خالفني فلان إلى كذا ، إذا قصده ، وأنت مولٍّ عنه ، وخالفني عنه ، إذا ولَّى عنه ، وأنت قاصده، ويلقاك الرجل صادرًا عن الماء ، فتسأله عن صاحبه ، فيقول : خالفني إلى الماء يريد أنَّه قد ذهب إليه واردًا ، وأنا ذاهب عنه صادرًا ، ومنه قوله تعالى : **(وما أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ){هود :٨٨}**))(٣)

وهذا هو المعنى المراد من قوله تعالى : **(يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ)** إذ التقدير : يخالفون الله عن أمره ، الذي يقتضي أن يبقى الفعل (يخالفون) على دلالته من دون تضمين ؛ لأنَّه قُصِد منه المشاركة في معنى المخالفة بين طرفين : المخالِف والمخالَف عنه ، وقُصِد من استعمال (عن) في سورة النور ، و(إلى) في سورة هود ، تحديد نوع هذه المخالفة وتحديد جهتها .

٤ - قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ){المائدة :٥٤ } قال الزركشي في باب التضمين : ((فإنَّه يقال : ذل له ، لا عليه ؛ ولكنَّه هنا ضُمِّن معى التعطف والتحنن))

---

(١) جامع البيان ٢١١/١٨ .

(٢) الكشاف : ٢٥٣/٣ .

(٣) الكشاف : ٤٠٤/٢.

قال[1] : ((فإنَّه يقال : ذل له ، لا عليه)) يعني يقال هذا بين الناس ، لكن الله قد قال : **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** فلماذا يُعتدّ بكلام الناس ، ولا يعتد بكلام رب الناس ؟! والحقيقة أنَّه ليس في الآية تضمين ؛ ولو أراده لجاء بلفظه ، وقيل : عاطفين عليهم ، أو حانِّين عليهم ، وإنَّما أراد من قوله: **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** ما يدل عليه هذا اللفظ من غير تضمين ؛ وهذا ما أفصح عنه المفسرون أنفسهم القائلون بهذ التضمين . فقد قال الزجاج : ((أي : جانبهم ليِّن على المؤمنين ، ليس أنَّهم أذلاء مهانون))[2] وقال ابن عطية : ((معناه : متذللين من قبل أنفسهم ، غير متكبرين))[3]وقال البيضاوي : ((عاطفين عليهم متذللين ... واستعماله مع (على) إمَّا لتضمنه معنى العطف والحنو ، أو للتنبيه على أنَّهم مع علوِّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم))[4] وقال أبو حيان : ((وعدِّي بـ(على) ، وإن كان الأصل باللام ؛ لأنَّه ضمَّنه معنى الحنو والعطف كأنَّه قال : عاطفين على المؤمنين ، على وجه التذلل والتواضع))[5]

وجاء في روح المعاني للآلوسي: ((يعني أنَّ كونهم أذلة ، ليس لأجل كونهم أذلاء في أنفسهم ؛ بل لإرادة أن يضموا إلى علو منصبهم وشرفهم فضيلة التواضع))[6]

فهذا المعنى الذي ذكره المفسرون ، لو أُريد التعبير عنه بأبلغ عبارة وأوجزها وأفصحها وأدقها ، فهل يمكن أن يكون غير قوله تعالى : **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)**

نستنتج مما مرَّ ذكره أنَّه كما يقال : ذلَّ له ، يقال أيضًا : ذلَّ عليه ، ، كما هو الحال في (رغب) يقال : رغب في كذا ، ويقال : رغب عن كذا ، وكلٌّ في موضعه وسياقه وحسب المعنى المقصود ، فالذل في القول الأول ، هو ذل خضوع واستكانة ، ولا يصدر من صاحبه إلاَّ كرهًا ، وبرغم أنفه ، والذل في القول الثاني ، يجيء طوعًا ؛ لأنَّه ذل يبتغي به صاحبه التواضع ، وخفض الجناح لإخوانه المؤمنين ابتغاء مرضاة الله ، فالفرق بين الذلين واضح ، ومن الضروري جدًّا في هذا المقام أن أشير إلى قضية مهمة ، لم ينتبه عليها النحاة والمفسرون، وهي **أنَّ** شيوع تركيب معيَّن، إنما يأتي من شيوع معناه الذي يتطلب التعبير عنه

---

[1] البرهان : ص ٦٥٥ .

[2] معاني القرآن وإعرابه : ١٤٨/٢ .

[3] المحرر : ٢/ ٢٠٨ .

[4] أنوار التنزيل : ١٣٢/٢.

[5] البحر المحيط : ٧٠٣/٣ ، وينظر : الدر المصون ٣٠٩/٤ .

[6] ٣٣١/٣.

بهذا التركيب، فإذا أُريد التعبير عن معنى آخر غير شائع ، وجب التعبير عنه بتركيب آخر يوافق هذا المعنى ، وإن ندر استعمال هذا التركيب ، وقد تكون ثمة معان استعملها القرآن الكريم ، لكنه لم يستعملها العرب في شعرهم ، ولا في نثرهم ؛ لذلك ورد هذا التركيب في كلام الله ، ولم يرد في كلامهم، ومن المعاني التي لم يتطرق إليها إلاَّ القرآن الكريم ؛ مما اقتضى أن يكون التركيب المعبِّر عنه، لم يرد إلاَّ في كتاب الله ، هو قول الله تعالى الذي تقدم دراسة مدلوله : **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)**

وينبغي هنا استعمال طريق التفسير لا طريق التضمين ، فمن المعروف أن التفسير يذكر المعنى المراد من غير تضمين ، وهذا أمر مقبول ، لأن القصد منه فهم المعنى ، لا إلباس اللفظ دلالة تعدل دلالته الأصلية ، أو تحل محلها ، فالمراد من قوله تعالى : **(أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** الذل نفسه بلفظه ومعناه المعجمي ، بأنَّه يدل على الخضوع والاستكانة واللين، أي: ما كان ضد (العز) (١) إلاَّ أنَّ القرآن الكريم ببلاغة تراكيبه وأساليبه رسم منه ومن قوله: **(أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)** صورة جميلة مؤلفة من ضدين ؛ لكنهما ظهرا في التعبير القرآني متآلفين متعانقين؛ على خلاف ما عُرِف عنهما في كلام البشر ؛ إذ جعلهما كقطبين ، وإن تنافرا من جانب، تجاذبا من جانب آخر ، فقد استعمل القرآن لفظ الذل بدلالته ، ومن أجل أن يبيِّن بأنَّ هذا الذي اتصفت به الصفوة المختارة ، قد جاء منهم طوعًا لا كرهًا ، عدَّاه بـ(على) ، ثم وصف القوم أنفسهم بما يناقض معنى الذل فقال: **(أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)** ليؤكِّد طواعية ذلهم تجاه إخوانهم المؤمنين

فهذه الصورة الجميلة التي رسمها القرآن الكريم ، يجب أن نعرضها للناس كما هي ، من دون تضمين

٥ -قال الله تعالى : (قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى){طه : ٧١}

قال مقاتل ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة : ((أي : على جذوع النخل)) (٢)وقال الهروي : (باب دخول حروف الخفض بعضها مكان بعض ، اعلم أنَّ حروف الخفض قد يدخل بعضها مكان بعض ، قد جاء ذلك في القرآن الكريم والشعر ، فمنها (في) ، ولها ستة مواضع ، تكون

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة : ص ٣١٦ .

(٢) تفسير مقاتل ، تفسير الآية ٣٨ من سورة الطور ٢٨٦/٣ ، والوجوه والنظائر له ص ٧٢ ، ومجاز القرآن ص١٨١ ، وتفسير غريب القرآن ص ٢٩٨ .

مكان (على) ، كما قال الله عز وجل : **(وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)**(١) وقال المرادي : ((في : حرف جر، وله تسعة معان٠٠٠٠الخامس : أن تكون بمعنى (على) نحو قوله تعالى : ((**وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**)))(٢) وقال ابن هشام : ((في : حرف جر ، له عشرة معان ٠٠٠ الرابع : الاستعلاء ، نحو قوله تعال : **(وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)**))(٣)

هذا الذي قيل من لدن أساطين اللغة والنحوعن تضمين (في) ، معنى (على) ، لم يثبت عند التحقيق لدى آخرين ، قال الزجاج : ((معناه : على جذوع النخل ، ولكنَّه جاز أن تقع (في)، ههنا؛ لأنَّه في الجذع على جهة الطول ، والجذع مشتمل عليه، فقد صار فيه)) (٤) ومثل هذا قال التبريزي (٥) وقال الزمخشري : ((شبَّه تمكُّن المصلوب في الجذع تمكُّن الشيء الموعى في وعائه؛ فلذلك قيل : في جذوع النخل)) (٦)وقال ابن عطية : ((اتساع من حيث هو مربوط في الجذع ، وليست على حد قولك : ركبتُ على الفرس)) (٧) وقال العكبري : ((في : هنا على بابها؛ لأنَّ الجذع مكان للمصلوب ، ومحتو عليه))(٨) وقال المالقي : ((ومن ذلك مجيؤها بمعنى(على)، ٠٠٠ ومنه قوله تعالى : **(وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)** وكل هذه المواضع لو تأولتها وجدتَ فيها معنى : (في) الذي هو الوعاء ، ألا ترى أنَّ معنى : **(فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)** الوعاء ، وإن كان فيها العلو ، فالجذع وعاء للمصلوب ؛ لأنَّه لا بد من الحلول في جزء منه ، ولا يلزم في الوعاء أن يكون خاويًا من كل جهة ، ألا ترى أنَّ قوله تعالى : **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا){الملك : ١٥}** يعني الأرض ، إنَّها لا تحوي الماشي ، وإنَّما يحلون في جزء منها)) (٩) وقال أبو حيان : ((وأراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيل بهم ، ولمَّا كان الجذع مقرًّا للمصلوب ، واشتمل عليه اشتمال الظرف على

---

(١) الأزهية في علم الحروف ص ٢٧٧ .

(٢) الجنى الداني ص ٢٥١ .

(٣) مغني اللبيب ١٦٨/١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩/٣ .

(٥) ينظر : ملخص إعراب القرآن ص ٢٧١ .

(٦) الكشاف ٧٤/٣ .

(٧) المحرر الوجيز ٥٣/٤ .

(٨) التبيان في إعراب القرآن ١٨٨/٢ .

(٩) رصف المباني ص ٤٥١ -٤٥٢ .

المظروف عُدِّي الفعل بـــ (في) التي للوعاء، وقيل (في) ، بمعنى (على) ، وقيل : نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله ، فصار ظرفًا لهم، حتى يموتوا فيه جوعًا وعطشًا)) (١)

فـــ (في) إذن في قوله تعالى : **(وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)** جاءت على بابها ؛ تعبيرًا عن شدة الغضب التي اعترتْ فرعون ، وشدة وعيده بسحرته الذين آمنوا بموسى ، عليه السلام ، بأنَّه سيصلبهم في جذوع النخل ، لا على جذوع النخل ، فهو أشد تنكيلاً ، وأشفى لغليله .

٦ -قال الله تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ {١} لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ){المعارج : ١ -٢}

((قرأ نافع والشامي بألف من غير همز كـــ(قال) والباقون بالهمزة المفتوحة بين السين واللام)) (٢) والشامي : هو ابن عامر ، وفي قراءة (سال) ، بألف من غير همز توجيهان : أحدهما أنَّه من السيل ، وسائل ، أصلها : سايل ... وهو واد في جهنم ، والمعنى : سال واد بعذاب من الله ، والثاني : أنَّها (سأل) نفسها ، إلاّ أنَّها خُففت همزتها فصارت (سال) و(سائل): على أصلها مهموزة)) (٣)

وقد أجمعت كتب القراءات ، وكتب معاني القرآن وتفسيره على استبعاد التوجيه الأول، ورجحوا وآثروا التوجيه الثاني ، إلاّ أنَّهم جعلوا الباء بمعنى (عن) ، والتقدير: سأل سائل عن عذاب واقع (٤) قال ابن خالويه الأصبهاني: ((فقال النحويون : الباء ها هنا بمعنى (عن) ،والتقدير : سأل سائل عن عذاب واقع)) (٥) وفيما ذهب إليه أهل اللغة ، والتفسير إلى أنَّ الباء في قوله تعالى : **(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)** هي بمعنى (عن) ، مآخذ يمكن الإفصاح عنها بما يأتي:

---

(١) البحر المحيط ٢٢٣/٦ .

(٢) غيث النفع في القراءات السبع ص ١٠٠ .

(٣) الحجة في القراءات السبع لأبي علي النحوي ٤٦٥/٤ -٤٦٦ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٧١/٥ ، وكتاب معاني القراءات لأبي منصور الأزهـــري ص ٥٠٣ ، والأزهية للهروي ص ٢٩٥ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها للقيسي ص ٣٣٥ ، ومشكل إعراب القرآن للقيسي ٤٠٦/٢ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ١٦٤/٥ ، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ٤٦٦/٢ ، ورصف المباني ص ٢٢٢ ، والجنى الداني للمرادي ص ٤١ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٤٦٥/٨ .

(٥) إعراب القراءات السبع وعللها ص ٤٥٩ .

١- القول بأنَّ الباء في هذه الآية بمعنى (عن) ، يعني أنَّ كلام الله ، سبحانه، عبَّر عن معنى (عن) بغير الحرف الدالِّ عليه بالأصالة ، بل بما ناب عنه .

٢- القول بأنَّ الباء بمعنى (عن) يعني إبعادها هنا عن معنى الإلصاق ، والقرآن الكريم ما استعمل الباء إلاّ لإرادة دلالتها في الإلصاق التي لا تفارقها في كل أحوالها ، كما صرَّح بذلك النحاة [١] وهم يذهبون إلى أنَّه أراد معنى المجاوزة [٢]

٣- هذا الذي ذهب إليه النحاة والمفسرون أدَّى إلى الظن بتساوي التركيبين : سأل عن عذاب، وسأل بعذاب ، مما جعل أهل اللغة والتفسير يعزفون عن ذكر الفرق الدلالي بينهما ، بل لم يشيروا البتة إلى سر استعمال الباء من دون (عن) ، وسر إعجاز القرآن قائم على مثل هذه القضايا التعبيرية .

٤- إنَّ الغرض من استعمال الباء هنا واضح لا يحتاج للتعرف إليه إلاّ إلى قليل من الملاحظة بين الآية وسبب نزولها ، فقد أجمعوا على أنَّ الباء بمعنى (عن) على الرغم من أنَّهم قد أجمعوا على أنَّ معنى الآية وسبب نزولها هو : ((دعا داعٍ بعذاب واقع ، وهو النضر بن الحارث بن كلدة ، قال : اللهم إن كان ما يقوله محمد ، هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، فأُسِر يوم بدر فقُتِل هو ، وعقبة)) [٣] وهو إشارة إلى قوله تعالى : **(وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ){الأنفال : ٣٢}**[٤]

وقال أبو حيَّان في تفسير هذه الآية : ((قال الجمهور : نزلتْ في النضر بن الحارث حين قال : اللهم أنزل)) [٥] وعن هذه العلاقة ((قال أبو عبد الله : أول هذه السورة جواب لقوله تعالى ، حكاية عن المشركين : **(وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ){الأنفال : ٣٢}** فأنزل الله قوله تعالى : **(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ {١} لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ){المعارج : ١ -٢}**[٦]

---

[١] ينظر : رصف المباني ص ٢٢١-٢٢٢ ، والجنى الداني ص ٣٦ ، ومغني اللبيب ١/١٠١ .

[٢] ينظر : الجنى الداني ص ٤١ ، ومغني اللبيب ١/١٠٤ .

[٣] معاني القرآن للفراء ٣/٨١ .

[٤] ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٣٦٤ .

[٥] البحر المحيط ٨/٤٦٥ .

[٦] إعراب القراءات السبع وعللها ، لابن خاليه الأصبهاني ص ٤٥٩ .

فليس هناك تناسب بين (عن) وحال سؤال هذا المنكر المستهزئ ؛ لأنَّ استعمال (عن)، يكون جوابًا عمَّن سأل عن الشيء ليعرف ما العمل لتجنب العذاب ، فلو كان الأمر كذلك، لقيل : سأل سائل عن عذاب الله ، فاتقوه يا عباد الله ، ولكن لمَا كان سؤال السائل عن شيء ينكره ، ويريد مستهزئًا ومتحدِّيًا وقوعه عليه ، لم تجئ الآية في أسلوب جواب ، بل في أسلوب ردٍّ لهذا الإنكار، فناسب استعمال الباء التي تفيد الإلصاق ؛ ليتضمَّن هذا الرد بأنَّ هذا العذاب سيقع عليه لا محالة ، وتأمَّل كيف تطابق الإنكار والرد عليه ، وتناسقا بين قوله تعالى : **(بِعَذَابٍ أَلِيمٍ){الأنفال : ٣٢}**وقوله تعالى : **(بِعَذَابٍ وَاقِعٍ){المعارج : ١}** ولو استعمل (عن) بدلاً من الباء لاختل هذا التناسق بين الاستهزاء والجواب عنه ، من جهة اللفظ ، ومن جهة المعنى.

٧ -قال الله تعالى : (إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا){الإنسان : ٥ -٦}

قال الفراء : ((وقوله ، عز وجل : (يَشْرَبُ بِهَا) ، ويشربها ، سواء في المعنى ، وكأنَّ : (يَشْرَبُ بِهَا) ، يَروى بها)) (١) فالفراء قد جعل الباء زائدة ، حين جعل قوله تعالى : (يَشْرَبُ بِهَا) بمعنى : يشربها ، كما أنَّه ضمَّن (يشرب) ، معنى (يروى) ، ليسوغ تعديه إلى مفعوله بالباء لا بـــ (مِن) وقال ابن قتيبة : ((ويكون بمعنى : يشربها عباد الله ، ويشرب منها)) (٢) وقال النحاس: ((وقال الفراء : يشرب بها ، ويشربها واحد ، وأحسن من هذا أن يكون المعنى : يروى بها)) (٣) وقد مرَّ قول الفراء : ((كأنَّ : يشرب بها ، يروى بها)) (٤) وذهب الزمخشري إلى أنَّ الباء جيء بها لمعنى الإلصاق ((كأنَّ المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل)) (٥) وقد تبنى ابن عطية مذهب القائلين بزيادة الباء ، فذهب إلى أنَّ قوله تعالى: (يَشْرَبُ بِهَا) هو بمنزلة : يشربها(٦) وقال العكبري : (((يَشْرَبُ بِهَا) قيل : الباء زائدة ، وقيل: هي بمعنى (مِن) وقيل : هو حال ، أي : يشرب ممزوجًا بها ، والأولى

---

(١) معاني القرآن ١٠٧/٣ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٣٠١ .

(٣) إعراب القرآن ص ١٢٤٠ .

(٤) معاني القرآن ١٠٧/٣ .

(٥) الكشاف ٦٥٥/٤ -٦٥٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٤١٠/٥ .

أن يكون محمولاً على المعنى : يلتذُّ بها)) (١) وقال أبو حيان الأندلسي : (((يَشْرَبُ بِهَا) أي : يمزج شرابهم بها ، أتى بالباء الدالة على الإلصاق ، والمعنى : يشرب عباد الله بها الخمر ، كما تقول : شربتُ الماء بالعسل ، أو ضُمِّن (يشرب) معنى (يروى) فعُدِّي بالباء ، وقيل الباء زائدة)) (٢)

هذا ما جاء في كتب التفسير ، أمَّا ما ورد في كتب حروف المعاني ، فقد جعل الهروي (مِن) من أول معاني الباء ، فقال : ((تكون مكان (مِن) ، قال الله تعالى : (**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**) أي : يشرب منها)) (٣) وكذلك جعل ابن هشام من معاني الباء ((التبعيض ، بمعنى (مِن) ، أثبت ذلك الأصمعي ، والفارسي ، والقُتَبي ، وابن مالك ، قيل : والكوفيون ، وجعلوا منه قوله تعالى : (**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّه**)(٤)

فمجمل الأقوال التي قيلت في الآية ، هي :

١- تضمين (يشرب) معنى (يروى) والتقدير يروى بها ، أجاز هذا الوجه : الفراء ، وأبو جعفر النحاس ، وأبو حيان الأندلسي .

٢- جعل الباء زائدة ، فتقدير قوله تعالى : (يَشْرَبُ بِهَا) هو : يشربها .

٣- جعل الباء زائدة دالة على الإلصاق ، والمعنى : يشرب عباد الله بها الخمر.

٤- تضمين (يشرب) معنى (يلتذ) ؛ لذلك عُدِّي بالباء ، والتقدير : يلتذ بها .

٥- جعل الباء دالة على التبعيض ، بمعنى (مِن) ، والتقدير : يشرب منها .

مآخذ ما قاله النحاة والمعربون والمفسرون في قوله تعالى: (**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**){**المعارج : ١**} تنطبق على ما قالوه هنا في قوله تعالى: (**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ**){**الإنسان : ٥**} وفي كل آية سخروا التضمين في إعرابها ؛ فجميع هذه الأقوال فيها نظر ؛ لأنَّ الله ، سبحانه ، أراد من : (يشرب) في قوله تعالى : (يَشْرَبُ بِهَا) معنى : يشرب ، ومن الباء في (بها) معنى الباء ، ولو أراد أن تكون زائدة لما أتى بها ؛ فمن اللغو استعمال لفظ ، وهو لا يريد معناه ، ولا أدري كيف تسنَّى للفراء ، وأبي جعفر النحاس ، وأبي حيان الأندلسي أن يضمنوا (يشرب) في قوله تعالى:(**يَشْرَبُ بِهَا**) معنى : يروى بها ، ويستحسنوا هذا الوجه ؛ إذ ليس في الجنة ظمأ ، ولا ظمآن ، فقد أروى الله ، سبحانه ، أهل الجنة قبل أن

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ٤٨١/٢ .

(٢) البحر المحيط ٥٥٢/٨ .

(٣) الأُزهية في علم الحروف ص ٢٩٤ .

(٤) مغني اللبيب ١٠٥/١ .

يدخلوا الجنة بالشرب من ماء حوض الكوثر ، فلكل نبي يوم القيامة حوض ترد إليه أمته ، وأعظمها حوض الكوثر الذي أعطاه الله لنبينا محمد ، صلى الله عليه وسلَّم ، قال الله تعالى : **(إِنَّاأَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ){الكوثر : ١}** جاء في الحديث الصحيح قوله : صلى الله عليه وسلَّم ، حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه لا يظمأ أبدًا . رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية : من شرب منه شربة لم يظمأ أبدًا ، ومن لم يشرب منه لم يرو أبدًا . رواه البزار والطبراني ، وقد وردت روايات كثيرة بهذا المعنى (١)

فأهل الجنة إذن يدخلون الجنة وقد أرواهم الله ، سبحانه جميعًا من شرب ماء الكوثر الذي يُنصَب لنبيِّنا محمد ، صلى الله عليه وسلَم ، في عرصات يوم القيامة ، فالقول إذن بتضمين قوله تعالى : **(يَشْرَبُ بِهَا)** معنى : يروى بها ، باطل وفاسد ، لأنَّه ليس في الجنة ظمآن ليشرب من أجل أن يرتوي ، بل يشرب من أجل التمتع بطيب الشراب ، وطيب رائحته .

والمعربون والمفسرون قد جعلوا كل تقديراتهم المستندة إلى التضمين متعلقة بالعين، وهي:

١- يروى بها ، أي : يروى بالعين .
٢- يشربها ، أي : يشرب العين .
٣- يلتذ بها ، أي : يلتذُّ بالعين .
٤- وكذلك من جعل الباء بمعنى الإلصاق ، فهو يعني إلصاق الشرب بالعين ، وهذه الأقوال لا تصح ، لأنَّه ليس المراد التعامل مع العين مباشرة ، فلم يرد في التفسير أنَّ كل أهل الجنة يلتقون ويجتمعون عند هذه العين ليشربوا منها ؛ ففي تفسير قوله تعالى : **(يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا){الإنسان : ٦}** قال الفراء : ((حيث ما أحب الرجل من أهل الجنة فجَّرها لنفسه)) (٢) وقال الطبري : ((قوله : **(يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا)** يقول ، تعالى ذكره : يفجرون تلك العين التي يشربون بها كيف شاؤوا ، وحيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم تفجيرًا ، ويعني بالتفجير : الإسالة، والإجراء ··· يعدلونها حيث شاؤوا ··· ويصرفونها حيث شاؤوا)) (٣) وقال أبو حيان: ((يفجرونها : يثقبونها بعود قصب ونحوه حيث شاؤوا ، فهي تجري عند كل واحد منهم

---

(١) ينظر : الترغيب والترهيب للحافظ المنذري١٢١٩/٥-١٢٢٠ .

(٢) معاني القرآن ١٠٧/٣ ، وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ١٦٧/٨ .

(٣) جامع البيان ٢٤٦/٢٩-٢٤٧ .

، هكذا ورد في الأثر ، وقيل : هي عين في دار رسول الله ، صلَّى الله عليه وسلَّم ، تنفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين)) (١)

وقد ذكر النحاة أنَّ من معاني الباء : السببية والاستعانة ، وجعلوا من ذلك قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ){البقرة : ٥٤}** وقوله تعالى: **(فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا){النساء: ١٦٠}** وقوله تعالى : **(وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ){البقرة : ٢٢}** ونحو : لقيتُ بزيد الأسد ، وقطعتُ اللحم بالسكين ، وبريتُ القلم بالمبراة ، وكتبتُ بالقلم (٢) فقد أفادت الباء في هذه الشواهد معنى الوسيلة والواسطة ، وهذا ما أفادته ودلَّت عليه في قوله تعالى: **(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا){الإنسان : ٦}** فأهل الجنة ، وهم في مواضعهم ومنازلهم من الجنة القريبين من العين والبعيدين منها ، يتمتعون ، كل في مكانه ، بالشرب من ماء العين ، ذلك بوساطة جداولها وسواقيها المتفرِّعة منها ، والممتدة إلى كل بيت من بيوتها.

المبحث الثالث

التضمين وبلاغة القرآن الكريم

بلاغة القرآن الكريم ، قائمة على أساس استعمال المفردات اللغوية استنادًا إلى معانيها الخاصة، لا استنادًا إلى معانيها العامة ، ولهذا يقال في هذا الباب : لِمَ قال الله كذا، ولم يقل كذا، وتضمين لفظ معنى لفظ آخر يهدم هذا الأساس الذي بُنِيت علية بلاغة القرآن الكريم ، وبُنِي عليه سرٌّ إعجازه ، من ذلك على سبيل المثال ، ما قيل في قول الله تعالى: **(وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ){القصص : ٢٣}**

ورد الفعل (وجد) في هذه الآية ، وهو من أفعال (ظن) وأخواتها التي تنصب مفعولين، أصلهما مبتدأ وخبر(٣) ، إلاَّ أنَّه جاء في الدر المصون : (((تذودان) صفة لامرأتين ، لا مفعول ثانٍ ؛ لأنَّ (وجد) بمعنى (لقي))) (٤)

---

(١) البحر المحيط ٥٥٢/٨

(٢) ينظر : الأزهية في علم الحروف ص ٢٩٧ ، ورصف المباني ص ٢٢٢ ، والجنى الداني ص ٣٩ ، ومغني اللبيب ١٠٣/١ .

(٣)ينظر : شرح ابن عقيل ٤١٦/١ -٤٥١ .

(٤) ٦٦٢/٨ .

نقول في البدء ، لو أراد الله سبحانه ، معنى اللقاء ؛ لاستعمل لفظه وقال : ولقي من دونهم امرأتين ، إذ لم يكن يعجزه ذلك ، ولا سيما أنَّ لفظ (لقي) قد استُعمِل في القرآن الكريم، وقد عُرِّف اللقاء الذي هو مصدر (لقي) بأنَّه ((مقابلة الشيء ، ومصادفته معًا)) (١) وعُرِّف بأنَّه ((مصادفة الشيء للشيء ، ومقابلته معًا)) (٢)

وعُرِّف الوجود الذي هو مصدر (وجد) بأنَّه على ((أضرب : وجود بإحدى الحواس الخمس، نحو : وجدتُ زيدًا ، ووجدتُ طعمه ، ووجدتُ صوته ، ووجدتُ خشونته ، ووجود بقوة الشهوة، نحو : وجدتُ الشبع)) (٣)

فكيف يصح جعل (وجد) بمعنى (لقي) وبينهما هذا الفرق الواضح في المعنى ؟! إنَّه كان من الأولى في هذه الآية ونحوها ، أن يسأل المفسر نفسه : لِمَ قال الله هنا : **(وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ)** ولم يقل : ولقي من دونهم امرأتين ، وكذلك يسأل نفسه مرة ثانية : أنَّه لِمَ استعمل لفظ (لقي) ولم يستعمل لفظ (وجد) في قوله تعالى : **(وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ){البقرة : ١٤}** ولا بد من أن يكون لهذا السؤال، وذاك ، إجابة وتفسير ، وفي هذه الإجابة والتفسير تكمن بلاغة القرآن الكريم ، وفيها يظهر سرُّ إعجازه

إنَّ القول بوجود التضمين في القرآن الكريم ، وأنَّه يمثل صورة من صور البلاغة فيه، قضية فيها نظر ، إذ تبيَّن أنَّ التضمين قائم على أساس ترادف الألفاظ ؛ وهذا ما صرَّح به ابن جني، وغيره وقد مرَّ كلامه في هذا الباب (٤) وبلاغة القرآن الكريم قائمة على اساس أنَّه لا ترادف بين ألفاظه ، فالقول بالتضمين ، والقول ببلاغة القرآن الكريم قولان متناقضان، ولا يمكن التوفيق بينهما البتة ، بل إثبات أحدهما ، لا يتمُّ إلاَّ بعد أن يتمَّ إلغاء الآخر؛ وهذا ما حصل.

يقول الدكتور فاضل السامرائي : ((فللتضمين غرض بلاغي لطيف ، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب ، وذلك بذكر فعل ، وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر فتكسب بذلك معنيين ، معنى الفعل الأول ومعنى الفعل الثاني ، وذلك نحو قوله تعالى : **(وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا){الأنبياء :٧٧}** فقد ذهب قوم إلى أنَّ (من) ههنا بمعنى (على) وهذا فيه

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٤٧٢ .

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للسمين الحلبي٣٧/٤ .

(٣) المفردات للراغب ص ٥٣٥ .

(٤) ينظر : الخصائص : ٩٢/٢-٩٤

نظر ؛ فإنَّ هناك فرقًا في المعنى بين قولك : نصره من، ونصره عليه ؛ فالنصر عليه يعني التمكن منه والاستعلاء والغلبة قال تعالى : **(وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ){التوبة : ١٤}** وقال تعالى: **(فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ){البقرة : ٢٨٦}** أي : مكَنَّا منهم وليس هذا معنى نصره منه ، أمَّا نصرناه منهم ، فإنَّه بمعنى نجَّيناه منهم ، قال تعالى : **(وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ) {هود:٣٠}** فليس المعنى : من ينصرني على الله ، بل من ينجيني ويمنعني منه)) (١) تأمَّل كيف أكَّد أنَّ (من) دلَّتْ على معناها الذي وضعت له ، وأنَّها ليست بمعنى (على) وأقول لا حاجة إلى تأكيد هذه الحقيقة لـ(مِن) بالاستعانة بإلباس (نصرناه) معنى الفعل (نجَّيناه) والدليل على ذلك أنَّ الدكتور فاضل السامرائي بعد أن ضمَّن (نصرناه) معنى الفعل (نجَّيناه) ، عاد بسرعة فنزع منه هذا التضمين، وبكلام صريح ، وبنص قوله : ((وقد تقول : ما الفرق بين قولنا : نجيناه من القوم، وقولنا: نصرناه من القوم ، والجواب أنَّ التنجية تتعلق بالناجي فقط ؛ فعندما تقول: نجيته منهم ، كان المعنى: أنَّك خلَّصته منهم ، ولم تذكر أنَّك تعرَّضتَ للآخرين بشيء؛ كما تقول: أنجيته من الغرق، ولا تقول نصرته من الغرق ؛ لأنَّ الغرق ليس شيئًا يُنتَصف منه ، أمَّا النصر منه، ففيه جانبان في الغالب ، جانب الناجي ، وجانب الذين نُجِّي منهم ، فعندما تقول : نصرته منهم، كان المعنى: أنَّك نجَّيته وعاقبتَ أولئك، أو أخذتَ له حقَّه منهم)) (٢)

إذن (مِن) هي بمعنى (مِن) وليست بمعنى (على) ، و(نصرناه) هو بمعنى (نصرناه) وليس بمعنى (نجَّيناه) ، فتأمَّل كيف أنَّه نفى تضمين (نصرناه) معنى (نجيناه) بعد أن نفى ترادفهما ، هذا ما أكَّده الدكتور الفاضل على الرغم من أنَّه أقر بالتضمين واستحسنه وجعله من لطائف البلاغة في بدء كلامه ، إلاَّ أنَّه نسفه نسفًا في آخر كلامه من حيث لم يشعر .

فالدكتور فاضل السامرائي ، حين أقر بالتضمين أول مرة ، كان استنادًا إلى أنَّ (نصرناه) و(نجيناه) مترادفان ، فاضطر إلى القول بترادفهما ؛ لأنَّ التضمين قائم على أساس هذا الترادف ، لكنَّه لما أراد أن يبيِّن بلاغة القرآن في هذا المقام نفسه ، اضطر إلى القول بعدم ترادفهما ، لأنَّ بلاغة القرآن قائمة على إلغاء هذا الترادف ، ومن هنا نؤكد ما قلناه : إنَّ القول بالتضمين ، والقول ببلاغة القرآن الكريم قولان متناقضان ، ولا يمكن التوفيق بينهما البتة ، بل إثبات أحدهما ، لا يتمُّ إلاَّ بعد أن يتمَّ إلغاء الآخر

---

(١) معاني النحو ١٢/٣

(٢) معاني النحو ١٢/٣-١٣ .

فاستنادًا إلى ما تقدَّم يكون الفعل (نصر) كما يتعدى إلى مفعوله بـ(على) يتعدى إليه بـ(مِن) ، وكل من حرفي الجر هذين ، يُؤتى به من دون الآخر في مقامه ، وحسب المعنى الذي يراد التعبير عنه.

المبحث الرابع
التضمين والنصب على نزع الخافض

لقد وجدت النحاة والمفسرين كثيرًا ما قرنوا النصب على نزع الخافض بالتضمين ، بل كثيرًا ما حاولوا حل ما اعترى القول الأول من إشكال بالثاني ، ظهر ذلك في إعرابهم وتفسيرهم لشواهد قرآنية كثيرة ، سأبسط القول في ثلاثة منها :

الشاهد الأول ، قول الله تعالى : **(وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**{البقرة : ٢٢٧} وقال الله تعالى : **(وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ)**{البقرة : ٢٣٥}

قال النحاس في إعراب الآية الثانية : ((أي : على عقدة النكاح ، ثم حذف (على) ... والحذف في هذه الأشياء لا يقاس)) (١) وقال القيسي : ((أي : على عقدة النكاح ، فلما حذف الحرف نصبَ)) (٢) وقال أبو البركات بن الأنباري : ((أن يكون منصوبًا على تقدير حذف حرف الجر ، وتقديره : ولا تعزموا على عقدة النكاح ، فحذف حرف الجر ، فاتصل الفعل به فنصبه)) (٣) وقال العكبري : ((قوله تعالى : **(وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**{البقرة : ٢٢٧} : أي على الطلاق ، فلما حذف الحرف نصبَ ، ويجوز أن يكون حَمَلَ (عزم) على (نوى) فعداه بغير حرف)) (٤) وقال : (((**وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ)**{البقرة : ٢٣٥} أي: على عقدة النكاح ، وقيل : (تعزموا) بمعنى (تنووا) وهذا يتعدى بنفسه ، فيعمل عمله)) (٥) وجاء في الدر المصون : ((قوله تعالى : **(وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ)** في نصب الطلاق وجهان : أحدهما : أنَّه على إسقاط الخافض ؛ لأنَّ (عزم) يتعدى بـ(على) ... والثاني : أن تُضمِّن (عزم) معنى (نوى) فينتصب مفعولاً به)) (٦)وجاء فيه

---

(١) إعراب القرآن ص ٩٩ ، وينظر البحر المحيط للأندلسي : ٣٧٧/٢ .

(٢) مشكل إعراب القرآن : ١٠٠/١ .

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ١٦١/١

(٤) التبيان في إعراب القرآن : ١٤٦/١ .

(٥) التبيان في إعراب القرآن :١٥٢/١ .

(٦) الدر المصون : ٤٣٥/٢ .

أيضًا في إعراب: قوله تعالى : **﴿وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾** : ((قوله (عقدة) في نصبه ثلاثة أوجه : أحدها : أنَّه مفعول به على أنَّه ضُمِّن (عزم) معنى ما يتعدى بنفسه ، وهو (تنووا) أو (تباشروا) ونحو ذلك ، والثاني : أنَّه منصوب على إسقاط حرف الجر ، وهو (على) فإنَّ (عزم) يتعدى بها ٠٠٠ والثالث : أنَّه منصوب على المصدر فإنَّ المعنى : ولا تعقدوا عقدة)) [١] وقال الدكتور فاضل السامرائي : ((وقد يُضمَّن فعل لازم معنى فعل متعد ، كقوله تعالى : **﴿وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾{البقرة : ٢٣٥}** لأنَّ (عزم) فعل لازم ، وقد ضُمِّن معنى : ولا تنووا)) [٢]

تبيَّن مما تقدَّم نقله من أقوال أهل اللغة والتفسير أنَّ كلا القولين : النصب على نزع الخافض ، والتضمين ، قائم على أساس أنَّ (عزم) لا يتعدى إلى مفعوله بنفسه ، بل يتعدى إليه بـ(على) ، وقد جاء (عزم) في الآيتين متعديًا إلى مفعوله بنفسه ، خلاف الأصل كما ظنوا ، وعدوا ذلك إشكالاً يحتاج إلى حل ، فحلَّوه على أحد وجهين : إمَّا على إعراب كلٍّ من (الطلاق) و(عقدة) منصوبًا على نزع الخافض ، وإمَّا على تضمين (عزم) معنى (نوى) . هذا ما أجمع عليه النحاة ، والمعربون ، والمفسرون وأجمعوا أيضًا على أنَّ العزم في الآية الأولى ، يعني : التصميم على الطلاق ، وفي الآية الثانية ، يعني : العزم على عقدة النكاح [٣]

إنَّ إعراب كلٍّ من (الطلاق) ، في الآية الأولى ، (وعقدة) ، في الآية الثانية ، منصوبًا على نزع الخافض ، أو إعرابه مفعولاً به بتضمين (عزم) ، معنى (نوى) لا يصح ، لما يأتي:

١ -ذهب النحاة والمفسرون إلى القول بالنصب على نزع الخافض ، أو إلى القول بالتضمين، استنادًا إلى أنَّ الفعل (عزم) ، في كلام العرب يتعدَّى إلى مفعوله بحرف الجر (على)، ولهذا قالوا بأنَّ التقدير في الآية الأولى : وإن عزموا على الطلاق ، أو : ولا تنووا الطلاق ، وفي الآية الثانية بتقدير : ولا تعزموا على عقدة النكاح ، أو : ولا تنووا عقدة النكاح، إلاَّ أنَّ المعجمات اللغوية نقلت جواز الوجهين على حد سواء ، فقد جاء في كتاب العين

---

(١) الدر المصون : ٢/٤٨٥.

(٢) معاني النحو ٣/١٣

(٣) ينظر : إعراب القرآن للنحاس ص ٩٩ ، ومشكل إعراب القرآن للقيسي ١/١٠٠ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ١/١٦١-١٦٢ ، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/١٤٦ ، ١/١٥٢ ، ومغني البيب لابن هشام ٢/٥٢٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/٤٦٥ ، والدر المصون ٢/٤٣٥ .

للخليل: ((والرجل يعتزم الطريقَ فيمضي ، ولا ينثني)) [١] قال : يعتزم الطريقَ ، لا : على الطريق، وجاء في تهذيب اللغة للأزهري ، مادة ، عزم : ((قال الله ، عز وجل : **{فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ}{محمد : ٢١}** سمعتُ المنذري يقول : سمعت أبا الهيثم يقول في قوله تعالى : **{فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ}** هو فاعل معناه المفعول ، وإنَّما يُعْزَمُ الأمرُ ، ولا يَعْزِمُ ، والعزم للإنسان ، لا للأمر ... وقال الزجاج : **{فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ}** فإذا جدَّ الأمر ولزم فرض القتال [٢]، قال : هذا معناه ، والعرب تقول : عزمتُ الأمرَ ، وعزمتُ عليه ، قال الله تعالى : **{وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}{البقرة: ٢٢٧}**)) [٣]

أي : إذا أضفنا ما دل عليه قوله تعالى : **{فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ}** جازت ثلاثة أوجه: عزم الأمرُ، وعزمتُ الأمرَ ، وعزمتُ على الأمر .

وقال الأصفهاني : ((العزم والعزيمة : عقد القلب على إمضاء الأمر ، يقال : عزمتُ الأمرَ ، وعزمتُ عليه ، واعتزمت)) [٤]

وقال الحريري : ((ويضاهي لفظة (أجمعتُ) في تعديها بنفسها تارة ،وبحرف الجر أُخرى لفظة (عزمتُ) فيقال : عزمتُ على الأمر ، وعزمته ، كما قال ، عز وجل : (**{وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ}{البقرة : ٢٣٥}**)) [٥]

((وقال ابن بري : ويقال : عزمتُ على الأمر ، وعزمتُه ، قال الأسود بن عمارة النَّوفلي:

خليلَيَّ من سُعْدى أَلِمَّا فسلِّما على مريم لا يبعدُ الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمتِه فهل موعد قبل الفراق فيُعلما)) [٦]

والشاهد في البيت : عزمتِه ، وقال القرطبي : ((يقال : عزم الشيءَ ، وعزم عليه ... قال سيبويه : والحذف في هذه الأشياء لا يقاس عليه)) [٧] وفي المصباح المنير للفيومي : ((عزم

---

[١] ص ١٦١ .

[٢] ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١/٥ .

[٣] تهذيب اللغة ٢٤٢٥/٣ .

[٤] المفردات في غريب القرآن : ص ٣٤٧ .

[٥] درة الغوَّاص : ص ٦١.

[٦] لسان العرب ١٣٩/١٠ ، وتاج العروس ٥٣/٣٣ .

[٧] الجامع لأحكام القرآن ١٩٢/٣ .

على الشيء ، وعزمه عزمًا ، من باب : ضرب)) (١) وقال السمين الحلبي : ((العزيمة : عقد القلب على إمضاء الأمر ، ويتعدى بنفسه ، وبـ(على) يقال : عزمتُ الأمر، وعزمتُ عليه)) (٢)

ويظهر أنَّ الزمخشري أخذ بما جاء في لغة العرب في تفسيره لقوله تعالى : **(وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ)**{البقرة : ٢٣٥} فقد قال : في إعراب هذه الآية : ((من : عزمَ الأمرَ ، وعزمَ عليه)) (٣)

فإذا جاء في اللغة تعدِّي (عزم) ، إلى مفعوله بنفسه ، كتعدِّيه إليه بـ (على) ، فهل ثمة داع بعد ذلك إلى إعراب الاسم المنصوب بعده في الآيتين، منصوبًا على نزع الخافض ، أو تضمين (عزم) معنى (نوى) ؟!

٢ -من المعلوم ، وكما هو مدوَّن في كتب النحو ، ولا سيما التي اختصت بشرح حروف المعاني، أنَّ لكل حرف من حروف الجرمعناه ، فيجب في البدء أن يؤخذ هذا المعنى في الحسبان، فيجتهد الباحث في استنباط المعنى المراد من استعماله في السياق ، ولم يستعمل القرآن الكريم (عزم) متعدِّيًا إلى مفعوله بـ(على) ؛ لذلك نقول : إنَّه لو قيل في الكلام : وإن عزموا على الطلاق ، لأفاد تسليط العزم على الطلاق ؛ لأنَّ (على) ، دلالتها العامة هي الاستعلاء على الشيء ، حقيقة ، أو مجازًا ، فيكون المعنى باستعمال (على) ، كما يبدو حصر العزم على أمر الطلاق ، لا على أمر آخر غيره ، فعند حذف هذا الحرف ، سيكون حتمًا أريد به الاستغناء عن معناه المذكور ، ليستبدل به معنى آخر ، وهو معنى النصب ، أي : معنى المفعولية ، وهو الذي جيء به في قوله تعالى : **(وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**{البقرة : ٢٢٧} فقد عُدِّي (عزم) ، إلى مفعوله بنفسه ؛ لأنَّه أريد أن يستوعب العزم الطلاق ، ويحتوي عليه ، ويشمله من كل جوانبه ، من دون أن يكون هناك مجال ، ينفذ من خلاله التراجع عن هذا العزم ؛ أو لأنَّه أريد الطلاق بصفة عامة ، وبكل دلالاته ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإنَّه كما سيأتي ، أنَّ القرآن الكريم استعمل فعل العزم ، ولم يستعمل فعل النية ؛ لأنَّ العزم أقرب إلى الفعل من النية ، فهو أولى من أن يترتَّب عليه الحكم ، ولتحقيق هذا الغرض وإكماله ، فإنَّه لم يستعمل حرف الجر بين فعل العزم والطلاق ، فلم يفصل بينهما بأي فاصل لفظي ، ليكون ذلك دليلاً على قرب العزم من الطلاق ، وملاصقته له ، أو أنَّ الطلاق سيعقبه، ويباشره ، قصرت المدة ، أم طالت .

---

(١) ص ٤٠٨ .

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : ٧١/٣ .

(٣) الكشاف ٢٨٠/١ .

٣ -استنادًا إلى الحقيقة التي طال ما أشرنا إليها ، بأنَّ قول النحاة والمفسرين بالنصب على نزع الخافض قائم على أساس لفظي بحت ، لذا كان من البديهي أن لا يتطرقوا إلى قضية الفرق في الدلالة بين النصب الذي عليه الآيتان الكريمتان ، وبين الجر الذي عدوه هو الأصل ، بل صرحوا غير مرة ، كما مرَّ ، إلى أنَّ النصب هو بمعنى الجر ، فهذا يعني ، من حيث لم يشعروا، الحكم على أنَّهما نصبا عبثًا ، وهذا مأخذ كبير .

٤ -تبيَّن كما تقدَّم أنَّ النحاة والمفسرين لم يجيزوا تعدي (عزم) إلى مفعوله بنفسه ، فهذا يعني أيضًا أنَّهم أدخلوا نصب الاسم بعده في الآيتين الكريمتين ضمن المواضع الشاذة ، وهذا ما صرح به النحاس آنفًا ، بقوله : ((أي : على عقدة النكاح ، ثم حذف (على) ٠٠٠ والحذف في هذه الأشياء لا يقاس))(١) ، أي هو حذف شاذ ، وقد صرحوا بهذا أيضًا حين قرنوه بشذوذ نصب الاسم في قول الشاعر : تمرون الديارَ ، إلاّ أنَّهم اعتذروا لوقوع الشاعر في هذا الشذوذ ، وسوَّغوه له، بحجة أنَّه اضطر إليه للمحافظة على وزن البيت ، ولهذا أدخلوه ضمن الضرورات الشعرية، وقالوا بأنَّ هذا الشذوذ ما جاز وقوعه إلاّ في الشعر(٢) ، والقرآن الكريم ليس بشعر ،

وما يجب الإيمان به أنَّه ليس هناك شذوذ في القرآن الكريم ، وكان ينبغي بدلاً من القول بهذا الشذوذ البحث عن وجدان الفرق الدلالي بين الجر والنصب ، وعن التعرف إلى سر العدول من الأول إلى الثاني .

٥ -من المعلوم أنَّ النحاة والمفسرين ، قد جعلوا القرآن الكريم مصدرهم الأول في اللغة، فكان ينبغي لهم في هذه المسألة ؛ جعل الأصل في (عزم) أن يتعدَّى إلى مفعوله بنفسه، لأنَّه بهذا الأصل جاء في كتاب الله ، لكنهم في هذه المسألة ونحوها ، قاسوا لغة القرآن بلغة العرب، وضروراتهم الشعرية ، فقد قال الرضي : ((والأخفش الأصغر يجيز حذف الجار مع غيرهما إيضًا قياسًا، إذا تعيَّن الجار ، كما في : خرجتُ الدارَ ، ولم يثبت ، بلى قد جاء في غيرهما، إمَّا شذوذًا كقوله : تمرون الديار ٠٠٠ وقوله تعالى : **(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) {الأعراف ١٦} وقوله تعالى : (وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) { البقرة ٢٣٥ }** و**(أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) {البقرة ٢٣٣}**، والأولى في مثله أن يقال : ضُمِّن اللازم معنى المتعدي ، أي : تجوزون الديار ،

---

(١) إعراب القرآن ص ٩٩ ، وينظر البحر المحيط للأندلسي : ٣٧٧/٢ .

(٢) ينظر : شرح كافية ابن الحاجب ١٤٠/٤-١٤١ ، والدر المصون ١١٢/١ ، ١٩٢/٢ .

ولألزمنَّ صراطك ، ولا تنووا عقدة النكاح ، وترضعوا أولادكم حتى لا يحمل على الشذوذ))[1]

وقال الأشموني : ((التضمين ، نحو : **(وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ)**{**البقرة : ٢٣٥**} أي: لا تنووا ؛ لأنَّ (عزم) لا يتعدَّى إلاّ بـ (على) تقول : عزمتُ على كذا))[2]

فقد صرَّح الرضي بأنَّ النحاة قد حكموا على قوله تعالى : **(وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ)** {**البقرة : ٢٣٥**} بالشذوذ ؛ لأنَّه خلاف ما جاء في كلام العرب ، وهو تعدِّي (عزم) بـ(على)، على نحو ما توهموا ، وجعلوا الشذوذ في هذه الآية يعادل شذوذ قول الشاعر : تمرون الديار ... بل جعلوها بمنزلة كل شذوذ ، لم يجيزوا وقوعه في سعة الكلام ، وكذلك سلطوا الحكم نفسه على كل الشواهد القرآنية التي جعلوها على نحوها ، ثم إنَّ الرضي وغيره كالأشموني أرادا أن يُخرجا هذه الآية من هذا الشذوذ عن طريق التضمين ، والتضمين شأنه شأن النصب على نزع الخافض ، فيه مآخذ التضمين نفسها.

فقد قاس الرضي كلام الله على كلام الشاعر ، فكما اضطر إلى تضمين : تمرون الديار، في البيت معنى : يجوزون الديار ؛ لإبعاد الشاعر من أن يُتَّهم قوله بالشذوذ ، فكذلك اضطر إلى تضمين الأفعال التي تعدَّتْ إلى مفعولها بنفسها في الآيات المذكورة معاني أفعال أُخَر متعدِّية إلى مفعولها أصالة ، فهو أولى عنده من الحكم عليها بالشذوذ ، والحقيقة أنَه ليس في هذه الآيات ونحوها نصب على نزع الخافض ، ولا تضمين ، وأكبردليل على ذلك أنَّ الشاعر حين قال : تمرون الديارَ ، فإنَّه لم يرد البتة تضمينه معنى : تجوزون الديارَ ، وإنَّما اضطر الشاعر إلى حذف الخافض ليستقيم بهذا الحذف وزن البيت ، ولم يخطر بباله ما ادعاه الرضي

٦ -قال الخليل في مادة (نوي) : ((النوى : التحول من دار إلى دار ، كما كانوا ينتوون منزلاً بعد منزل ، والفعل : الانتواء ، والمصدر : النية ، أو النوى ... والناوي : الذي أزمع على التحول ... والنية : ما ينوي الإنسان بقلبه من خير ، أو شر))[3] ((والنوى : البعد، والنوى : النيَّة ، وهي النية مخففة ، ومعناها : القصد لبلد غير البلد الذي أنت فيه ، وفلان ينوي وجه كذا ، أي : يقصده من سفر ، أو عمل))[4] وقال في مادة (عزم) :

---

[1] شرح كافية ابن حاجب ١٤١/٤ – ١٤٠

[2] حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٤١/٢ .

[3] العين ص ٩٩٦ ، وينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٣٦٨٢/٤ .

[4] تهذيب اللغة ٣٦٨٢/٤ .

((والعزم : ما عقد عليه القلب أنَّك فاعله ، أو من أمر تيقنته)) (١) ((وروي عن الرسول ، صلى اله عليه وسلَّم، أنَّه قال : خير الأُمور عوازمها ، وله معنيان : أحدهما : خير الأُمور ما وكدتَ عزمك ، ورأيك، ونيتك عليه ، ووفيتَ بعهد الله فيه ٠٠٠ والمعنى الثاني : في قوله : خير الأُمور عوازمها ، أي: فرائضها التي عزم الله عليك بفعلها)) (٢)

فالفرق واضح بين النية والعزم ، فلكون النية أصلها البعد ، وانتوى فلان : إذا بعد، سُمِّيتْ بها الإرادة التي بعد بينها وبين مرادها ، وليس العزم كذلك ، فالعزم أقرب إلى مراده ، من النية إلى مرادها(٣) أي : بين النية والفعل يوجد العزم ، فأول مراحل الإرادة النية ، ثم يليه العزم والفعل ، فالفعل يعقب العزيمة ، ويباشرها ؛ لذا كان من المنطق السليم الموافق للدلالة اللغوية، أن يرتِّب القرآن الكريم الحكم على العزم لا على النية .

إذا كان سياق الآية ، والحكم الذي تضمنته ، والدلالة التي أرادت أن تثبتها ، اقتضى هذا كله أن يكون لفظ العزم فيها بمعنى العزم ، فكيف يصح أن يُضَمَّنَ معنى النية ؟!

الشاهد الثاني ، قول الله تعالى: **(وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ){التوبة : ٥}**

قال الأخفش : ((وألقى (على) ، وقال الشاعر :

نُغالي اللحمَ للأضياف نِيئًا ونَبْذُلُهُ إذا نَضِجَ القُدُورُ

أراد : نغالي باللحم)) (٤) أي : أنَّ قوله تعالى : **(كُلَّ مَرْصَدٍ)** منصوب عند الأخفش على نزع الخافض ، وذهب الزجاج إلى أنَّ : **(كُلَّ مَرْصَدٍ)** منصوب على الظرف(٥) ونقل هذين الوجهين القيسي (٦)، وابن عطية (٧)، وأبو البركات بن الأنباري (٨)، والعكبري (٩)،

---

(١) العين ص٦٣١ .

(٢) تهذيب اللغة ٣/٢٤٢٥ .

(٣) ينظر : الفروق اللغوية للعسكري ص ١٤٢ .

(٤) معاني القرآن ص ٢٠٨ ، وقد ذكره في ص ٦٦ ٠٠٠ ونُرْخِصُهُ إذا نضج القدور، وينظر : معاني الفرآن وإعرابه للزجاج ٢/٣٤٨ .

(٥) ينظر : معاني الفرآن وإعرابه للزجاج ٢/٣٤٨ .

(٦) ينظر : مشكل إعراب القرآن ١/٣٥٦ ..

(٧) ينظر : المحرر الوجيز ٣/٨ .

(٨) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ١/٣٩٤ .

(٩) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ١/٤٧١ .

وقال أبو حيان : ((وهذا الذي قاله الزجاج ، قال **(كُلَّ مَرْصَدٍ)** ظرف··· ردَّه أبو علي، لأنَّ (المرصد) ، المكان الذي يُرصَد فيه العدو ، فهو مكان مخصوص لا يحذف الحرف منه إلاّ سماعًا، كما حكى سيبويه: دخلتُ البيت، و :

لَدْنٌ بِهَزِّ الكفِّ يَعْسِلِ مَتْنُهُ   فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ(١)،

انتهى ، وأقول يصح انتصابه على الظرف ··· وقال الأخفش : معناه : على كل مرصد، فحذف وأعمل الفعل، وحَذْفُ (على) ووصول الفعل إلى مجرورها فتنصبه ، يخصه أصحابنا بالشعر، وأنشدوا:

تحنُّ فتبدي ما بها من صبابةً   وأخفي الذي لولا الأسى لقضائي

أي : لقضى عليَّ)) (٢) وكذلك عدَّ ابن هشام نصب : **(كُلَّ مَرْصَدٍ)** في هذه الآية ونحوها على إسقاط حرف الجر (على) على شاكلة حذف حرف الجر (في) في قول الشاعر:

لَدْنٌ بِهَزِّ الكفِّ يَعْسِلِ مَتْنُهُ   فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ(٣)

وكذلك قال السمين الحلبي : إنَّ نصب **(كُلَّ مَرْصَدٍ)** شاذ ((لا ينقاس بل نقتصر فيه على السماع ، كقوله تعالى : **(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) {الأعراف : ١٦}** أي : على صراطك، اتفق الكل على أنَّه على تقدير (على) ، ··· وجعله (في الشذوذ) نظير قول الشاعر :

نُغالي اللحمَ للأضياف نَيْئًا   ونُرْخِصُهُ إذا نَضِجَ القُدُورُ)) (٤)

وكذلك عدَّ الأشموني نصب **(كُلَّ مَرْصَدٍ)** شاذًّا كشذوذ قول الشاعر:

((لَدْنٌ بِهَزِّ الكفِّ يَعْسِلِ مَتْنُهُ   فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

أي: في الطريق)) (٥)

والحقيقة التي غفل عنها النحاة والمفسرون ، أنَّه أُريد من نصب **(كُلَّ مَرْصَدٍ)** أن يشمله حدوث القعود من لدن المؤمنين من كلِّ جهاته ، فالمراد الإحاطة الشاملة بكل موضع من مواضع وجود المشركين التي ينبغي أن يراقبوا فيها ، لرصد تحركاتهم المريبة من كل

---

(١) والبيت من شواهد سيبويه ٦٩/١ ، وقائله : ساعدة بن جُؤية الهذلي ، أخو بني سعد ، المقاصد النحوية ٢٦٥/٢ ، والبيت في ديوان الهذليين : لذٌّ بهز الكف يعسل متنه ··· قوله : لذٌّ : أي : تلذ الكف بهزه ، ينظر : ديوان الهذليين ، القسم الأول ص ١٩٠ .

(٢) البحر المحيط ١٤/٥ .

(٣) مغني اللبيب ٥٢٥/٢ .

(٤) الدر المصون ١٢/٦ .

(٥) حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٤١/١-١٤٢ .

جانب، وهذا المعنى المراد ، لا يتحقق بأوجز لفظ ، وأتم معنى إلاَّ بجعل **(كُلَّ مَرْصَدٍ)** مفعولاً به؛ ليستوعبه القعود ، ويشتمل عليه ؛ وهذا ما يدل عليه سياق الآية بكل وضوح : **(فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التوبة : ٥}**

الشاهد الثالث ، قول الله تعالى : **(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {١٦} ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ){الأعراف : ١٦ -١٧}**

مر قول الأخفش : (((**لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) {الأعراف : ١٦}** أي : على صراطك ٠٠٠ وقال الشاعر

كأنِّي إذا أسعى لأظفرَ طائرًا   مع النجم في جو السماء يَصُوبُ

يريد : لأظفر بطائر ، فألقى الباء ، ومثله قوله تعالى : **(أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) {الاعراف :١٥٠}** يريد : عن أمر ربكم)) (١)

وقال الزجاج في إعراب (صِرَاطَكَ) في هذه الآية : ((لا اختلاف بين النحويين في أنَّ (على) محذوفة)) (٢) وقال النحاس : (((**لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) {الأعراف : ١٦}** أي : على صراطك٠٠٠ وأنشد {الكامل}

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يعْسِلُ مَتْنُهُ   كما عسَلَ الطريقَ الثعلَبُ(٣)

والتقدير: على صراطك ، وفي الطريق)) (٤)

ومرَّ قول ابن مالك : ((متعدٍ بإسقاط حرف الجر ، نحو قوله تعالى : **(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) {الأعراف : ١٦}** ، وقوله تعالى **(أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) {الاعراف :١٥٠ }** وقول الشاعر:

كأنِّي إذا أسعى لأظفرَ طائرًا   مع النجم في جَوِّ السماء يَصُوبُ (٥)

---

(١) معاني القرآن ص ١٩٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٢/٢ .

(٣) هذا البيت من شواهد سيبويه ، الكتاب ٦٩/١ ، قائله ساعدة بن جؤية الهذلي ، أخو بني سعد ، ينظر المقاصد النحوية ٢٦٥/٢ .

(٤) إعراب القرآن ص ٢٩٩ .

(٥) لم أقف على قائله .

وكقول الأخر:

تَحنُّ فتبدي ما بها من صبابةً   وأخفي الذي لو لا الأسى لقضائي

والأصل: على صراطك المستقيم ، وعن أمر ربكم ، ولأظفر بطائرٍ ، ولقضى عليَ)) (١)

وقال القرطبي : (((**لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) {الأعراف : ١٦}**٠٠٠ صراطك: منصوب على حذف (على) ، أو (في) ، من قوله : صراطك ، كما حكى سيبويه ٠٠٠ وأنشد:

لَدْنٌ بِهَزِّ الكفِّ يعْسِلُ مَتْنُهُ   كما عسَلَ الطريقَ الثعلَبُ)) (٢)

والنحاة والمفسرون حين يحكمون صراحة ، على هذه الشواهد القرآنية ونحوها بالشذوذ، فإنَّهم غالبًا ما يبقون ساكتين ، لا يعلقون ولا يعقبون ، إلاَ أنَّهم أحيانًا يحاولون حل هذا الإشكال بالتضمين ، كما فعلوا ذلك ، كما مرَّ في الشاهدين السابقين : في قوله تعالى : **(وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ){البقرة : ٢٢٧}** وقوله تعالى : **(وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ){البقرة : ٢٣٥}** وكذلك قالوا هنا ، في قوله تعالى : **(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)** فقد ذهب ابن عطية إلى أنَّ **(صِرَاطَكَ)** مفعول به على تضمين : قوله تعالى : **(لأَقْعُدَنَّ)** ، معنى : لأتَعَرَّضَنَّ (٣)، ومرَّ قول الرضي : ((٠٠٠ وقوله تعالى : **(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) {الأعراف ١٦}** و**(وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) { البقرة ٢٣٥ }**٠٠٠ والأولى في مثله أن يقال : ضُمِّن اللازم معنى المتعدي، أي: ٠٠٠ لألزمنَّ صراطك ، ولا تنووا عقدة النكاح ٠٠٠حتى لا يحمل على الشذوذ)) (٤)

وقال أبو حيان : ((وانتصب : (صراطك) على إسقاط (على) ، قاله الزجاج ٠٠٠ وإسقاط حرف الجر لا ينقاس في مثل هذا ٠٠٠ وما جاء خلاف ذلك شاذ ، أو ضرورة ، وعلى الضرورة أنشدوا :

لدْنٌ بِهَزِّ الكفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ   فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

والأولى أن يُضمَّن : (لأَقْعُدَنَّ) معنى ما يتعدَّى بنفسه ؛ فينتصب : (الصراط) ، على أنَّه مفعول به ، والتقدير : لألزمنَّ بقعودي صراطك المستقيم)) (٥)

---

(١) شرح التسهيل ٨٥/٢ وينظر شرح التسهيل للمرادي ص ٤٣٧ -٤٣٨

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧٥/٧ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز ٣٨٠/٢ .

(٤) شرح كافية ابن حاجب ١٤٠/٤-١٤١ .

(٥) البحر المحيط ٣٥٥/٤ .

وجاء في الدر المصون : ((قوله : (**صِرَاطَكَ**) في نصبه ثلاثة أوجه ، أحدها : أنَّه منصوب على إسقاط الخافض ، قال الزجاج : لا اختلاف بين النحويين أنَّ (على) ، محذوفة ، ٠٠٠إلاّ أنَّ الذي قال الزجاج ، وإن كان ظاهره الإجماع ، ضعيف من حيث إنَّ حرف الجر لا يطَّرد حذفه ، بل هو مخصوص بضرورة ، أو بشذوذ قوله :

تَمُرُّونَ الدِّيارَ ولم تَعُوجوا   كلامُكم عليَّ إذًا حرامُ[1]

وقوله :

تَحنُّ فتبدي ما بها من صبابةً   وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

وقوله :

فبتُّ كأنَ العائدات فرشنني   هراسًا بهِ يُعلى فراشي ويُقشَبُ[2]

والثاني : أنَّه منصوب على الظرف ، والتقدير : لأقعدنَّ لهم في صراطك ، وهذا أيضًا ضعيف ؛ لأنَّ (صراطك) ، ظرف مكان مختص ، لا يصل إليه الفعل بنفسه ، بل بـ(في) ٠٠٠ وإن ورد غير ذلك كان شاذًّا ٠٠٠ أو ضرورة كقوله :

جزى الله بالخيرات ما فعلا بكم   رفيقينِ قالا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ[3]

---

[1] ( ) البيت للشاعر الأموي المعروف جرير بن عطية الخطفي (ت : ١١٤هـ) ينظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٨٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ص ٧٠١ ، ومشكل إعراب القرآن للقيسي ١٤٩/٢ ، والكشاف ٣٥٧/٣، والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٦٢/٤ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٢٢/٢ ، ورصف المباني للمالقي ص ٣٢٠ ، ومغني اللبيب ١٠٢/١ ، وشرح ابن عقيل ٥٣٨/١ ، والأشباه والنظائر للسيوطي ٢٧٢/٣ ، والبيت في الديوان :

أتمضونَ الرسومَ ولا تُحَيَّا   كلامُكم عليَّ إذًا حرامُ

ينظر : شرح ديوان جرير ، تأليف إسماعيل عبد الله الصاوي ص ٥١٢ ، وديوان جرير ، اعتنى به وشرحه حمدو طماس ص ٣٧٧ ، فالبيت في ديوانه لا شاهد فيه ، وقال العيني : ((وقال النحاس : سمعتُ عليَّ بن سليمان ، يعني الأخفش الأصغر ، يقول : حدثني محمد بن يزيد ، يعني الميرد ، قال : حدثني عمار بن بلال بن جرير ، قال : إنَّما قال جدِّي : مَرَرْتُمْ بالديار ، فعلى هذا فلا شاهد فيه)) المقاصد النحوية ٢٧٣/٢.

[2] ( ) قائله النابغة الذبياني ينظر : ديوانه ص ٢٢ .

[3] ( ) قال ابن هشام : ((خبر الهاتف من الجنِّ عن طريق الرسول ، صلى الله عليه وسلم في هجرته ، قالت (يعني أسماء بنت أبي بكر) تم انصرفوا ، فمكثنا ثلاث ليال ، وما ندري أين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجنِّ من أسفل مكة ، يتغنَّى بأبيات من شعر العرب ، وإنَّ الناس يتبعونه ، ويسمعون صوته وما يرونه ، ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه   رفيقين حلاَّ خيمتَي أمِّ معبد

هما نزلا بالبرِّ ثمَّ تروَّحا   فأفلح من أمسى رفيق محمد

أي : قالا في خَيْمَتَيْ [1] وجعلوا نظير الآية في نصب المكان المختص قول الآخر :

لدْنٌ بِهَزِّ الكفِّ يَعْسِلِ مَتْنُهُ   فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

وهذا البيت أنشده النحاة على أنَّه ضرورة ... والثالث : أنَه منصوب على المفعول به ؛ لأنَّ الفعل قبله ، وإن كان قاصرًا ، فقد ضُمِّن معنى فعل متعدٍّ ، والتقدير : لألزمنَّ صراطك المستقيم بقعودي عليه)) [2]

وهذا البيت من الشواهد التي استشهد بها ابن هشام في باب المفعول فيه قائلاً : ((وإنَّما حكمك في هذه الأماكن ونحوها أن تصرح بحرف الظرفية ، وهو (في) قال الشاعر ، وهو رجل من الجنِّ ... :

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه   رفيقينِ قالا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ

وكان حقه أن يقول : قالا في خيمَتَي أمِّ معبَدِ... ولكنَّه اضطر فأسقط (في) وأوصل الفعل بنفسه)) [3]

وكيف يصح أن يقاس كلام الله على ضرورة شعرية اضطرَّ إليها الشاعراضطرارًا ؛ فالقول بالتضمين توأم القول بالنصب على نزع الخافض ، كلاهما قول فيه نظر، وكما يبدو لنا أنَّ في كليهما ، حال الأخذ به ، انحرافًا في فهم القرآن الكريم ، من حيث الدلالة والمعنى والتفسير.

فالقرآن العظيم لم يستعمل الخافض الذي أوجب النحاة والمفسرون تقديره ؛ إلاَّ لأنَّه ما أراد دلالته ؛ إذ من العبث الذي تنزهتْ عنه لغة القرآن الكريم أن يحذف لفظًا ويريد دلالته ، فلا نصب إذن على نزع الخافض في كتاب الله ، وكذلك من العبث الذي تنزهت عنه لغة القرآن الكريم ، في غير باب المجاز ، أن يستعمل لفظًا ، وهو يريد معنى لفظ آخر، فلا تضمين إذن في هذا الكتاب المجيد ، فكان الأولى بعلماء اللغة والتفسير أن ينعموا نظرهم في سر نصب (صراطك) ، وعدم جره بـ(على) ، والحقيقة أنَّ معرفة سر ذلك لا يحتاج إلاَّ إلى قليل من التفكير، فقد قال الفراء : ((والمعنى ، والله أعلم : لأقعدنَّ على طريقهم ، أو في

قال ابن هشام : أمُّ مَعْبَد بنت كعب من خزاعة ... قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبي بكر ، رضي الله عنهما ، فلمَّا سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنَّ وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، رضي الله عنه ، وعامر بن فُهيرة ، وعبد الله بن أرقط دليلهما)) سيرة ابن هشام ٧٢/٢ .

(١) و (قالا) من القيلولة ، وهو النوم وقت الظهيرة ، ينظر : الدر المصون ٣٧٢/١ .

(٢) الدر المصون ٢٦٦/٥-٢٦٨ ، وينظر : ٤٨٧/٤ .

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢١٧-٢١٩ .

طريقهم)) (١) كأنَّه يريد دلالتيهما معًا ، أي : يجوز أن يكون المعنى : على طريقهم ، أو في طريقهم ، ويجوز كذلك أن يكون المعنى : بطريقهم ، أو عن طريقهم ، أو من تحته ، أو من فوقه ، أو من أمامه، أو من خلفه ، أي : أريد (صراطك) بكل جهاته ، وأن يشمله كله حدوث القعود من لدن الشيطان ، وهذا هو المقصود ، ولا يتحقق بأوجز لفظ ، وأتم معنى إلاَّ بجعل : صراطك ، مفعولاً به لـ(لأقعدنَّ) ، ليستوعبه القعود ويحتوي عليه .

ولا أدري كيف غفل النحاة ، والمعربون ، والمفسرون عن إرادة هذه الدلالة ، وسياق الآية بعدها يدل عليها بكل جلاء ، وهو قوله تعالى : **(ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ){الأعراف : ١٧}**

فالفعل (قعد) إذا صح أنَّه فعل لازم ، ولا يتعدَّى إلى مفعوله إلاّ بـ (على) ، فهو كذلك في كلام العرب ، إلاّ أنَّه لازم ، ومتعدٍّ في كلام الله ، وهنا تثار قضية ، قد كثر ما أشرتُ إليها، وأرى أنَّ من الضروري أن أعيد التنبيه عليها في هذا المقام ، وهي أنَّ قواعد اللغة العربية التي يصح أن تخضع لها لغة القرآن الكريم ، يجب أن تستنبط من القرآن الكريم ؛ ليفسَّر القرآن ويعرب بقواعد لغته ، لا بقواعد لغة تستنبط من أشعار العرب ، المقيدة بالوزن ووحدة القافية والمملوءة بالضرورات الشعرية .

فقد جعل النحاة والمفسرون قول الله تعالى : **(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ){الأعراف: ١٦}** شاذاً كشذوذ قول الشاعر : كما عَسَل الطريقَ الثعلبُ ، وأكثر من ذلك أنَّهم جعلوا قوله تعالى : **(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)** مثالاً يقتدى به ، ومقدَّمًا شذوذه على شذوذ قول الشاعر المذكور ، ففي إعراب قوله تعالى : **(اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا){يوسف : ٩}** قال السمين الحلبي المتكلِّم عن لسانه ولسان النحاة والمفسرين ما نصه : ((أرضًا : وفيه ثلاثة أوجه ، أحدها أن تكون منصوبة على إسقاط الخافض تخفيفًا ، أي : في أرض ، كقوله تعالى : **(لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ){الأعراف : ١٦}** وقوله :

لدْنٌ بِهزِّ الكفِّ يَعْسِلِ مَتْنُهُ كما عسلَ الطريقَ الثعلبُ)) (٢)

فالأسماء المنصوبة في هذه الشواهد القرآنية ، وفيما جاء في نحوها مما لا يُحصى ، يُعَدُّ نصبها شاذاً عند النحاة والمفسرين ، ولا يجوز عندهم إلاّ في ضرورة الشعر ، فهي كما قال أبو حيان الأندلسي قبل قليل : ((وحَذْفُ (على) ، ووصول الفعل إلى مجرورها فتنصبه ،

---

(١) معاني القرآن ١/٢٥٣ .

(٢) الدر المصون ٦/٦٤٣-٦٤٤ .

يخصه أصحابنا بالشعر)) (١) وكما قال السمين الحلبي : ((وأمَّا حذف حرف الجر وانتصاب مجروره ، فهو ضعيف أيضًا لا يجوز إلاَّ في ضرورة كقوله :

فبتُّ كأنَ العائدات فرشنني   هراسًا بهِ يُعلى فراشي ويُقشَبُ

وقوله :

تَحنُّ فتبدي ما بها من صبابةً   وأخفي الذي لولا الأسى لقضائي

وقوله :

تَمُرُّونَ الدِّيارَ ولم تَعُوجوا   كلامُكم عليَّ إذًا حرامُ

وقد تقدَّم تحقيق ذلك ، واستثناء المُطَّرَد منه)) (٢)

تبيَّن أنَّ النحاة والمفسرين قد أجمعوا على أنَّ في الشواهد القرآنية الأربعة التي تقدَّم ذكرها شذوذًا ، ساووه بشذوذ الضرورات الشعرية ، وهو تعدي الأفعال : **(وَلاَ تَعْزِمُواْ)** ، **(وَإِنْ عَزَمُواْ)** ، **(لأَقْعُدَنَّ)** ، **(وَاقْعُدُوا)** فيها إلى مفاعيلها بنفسها ، والقياس والصواب عندهم تعديها إليها بحرف الجر ، ومن المعلوم لدى كل علماء الأمَّة أنَّ كتاب الله ، هو في مستوى واحد من البلاغة والفصاحة ، حتى إنَّه لا يجوز أن يقال بأنَّ آية كذا ، أبلغ وأفصح من آية كذا، لذلك فإنَّ من حكم على لفظ منه بالشذوذ ، يكون كمن حكم على القرآن كله بالشذوذ .

الخاتمة ونتائج البحث:

تبيَّن مما استشهد به النحاة والمفسرون من الآيات القرآنية التي أخضعوا إعرابها وتفسيرها استنادًا إلى القول بالتضمين ما يأتي :

١ -إنَ القول بالتضمين قول مختلق ومصنوع .

٢ -إنَّه قول لا معنى له .

٣ -تبيَّن أنَّ التضمين يعني جعل اللفظ المذكور بمعنى لفظ آخر غير مذكور ، بل يُقَدَر من أجل حل مشكلة ، ففي الأخذ به إذن في إعراب القرآن الكريم وتفسيره تحريف لمعنى اللفظ ، وتحريف لدلالة الآية وتفسيرها .

٤ -لا يمثِّل التضمين صورة من صور البلاغة في القرآن الكريم ، كما قيل ؛ لأنَّ التضمين جاء لحل مشكلة لفظية ، وهي مجيء المتعدي لازمًا ، أو اللازم متعديًا ؛ لذلك يُضمَّن الأول معنى ما يتعدى ، ويُضمَّن الثاني معنى ما كان لازمًا ، هذا من جهة ، ومن جهة

---

(١) البحر المحيط ١٤/٥ .

(٢) الدر المصون ٤٨٧/٤ -٤٨٨ .

أخرى فإنَّ التضمين مبني على ترادف الألفاظ ، وبلاغة القرآن مبنية على معرفة السر من استعمال القرآن الكريم للفظ من دون استعمال اللفظ المرادف له ، وهذا يتطلب البحث عن أدق الفروق الدلالية بينهما .

المصادر والمراجع

-الأزهية في علم الحروف ،لأبي علي بن محمد النحوي الهروي (ت : ٤١٥) تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق ١٣٩١هـ=١٩٧١م .

-إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت : ٣٣٨هـ) اعتنى به الشيخ خالد العلي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

-إعراب القراءات السبع وعللها ، لأبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن خالويه الأصبهاني (ت : ٦٠٣هـ) ضبط نصه وعلق عليه أبو محمد الأسيوطي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت : ٦٩١هـ) إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د -ت) .

-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (ت : ٧٤٥هـ) حقق أُصوله، الدكتور عبد الرزاق المهيدي، ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق أبي الفضل الدمياطي ، دارالحديث ، القاهرة ،١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

-البيان في غريب إعراب القران، لأبي البركات بن الأنباري، (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٩هـ_ ١٩٦٩م.

-تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديتوري (ت : ٢٦٧هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدين الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧٧م .

-التبيان في إعراب القران لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت:٦١٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تفسير التحرير والتنوير)، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت : ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) ، الطبعة الأولى ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م .

-الترغيب والترهيب ، للإمام الحافظ المنذري ، حققه أبو عبد الرحمن المكي ، الطبعة الأول ، مكة المكرمة ، الرياض ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

-تفسير مقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .

- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق د - رياض زكي قاسم ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .

- جامع البيان عن تأويل أي القران، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

-الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (ت٦٧١هـ) محمد بن احمد الانصاري، الطبعة الثالثة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٣هـ = ١٩٦٧م .

- الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ) ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، والدكتور محمد نديم فاضل ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٣٠هـ

-حاشية الصبان (ت : ١٢٠٦هـ) على شرح الأشموني (ت : نحو ٩٠٠هـ) على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمود بن الجميل، الطبعة الأُولى، القاهرة، ١٤٢٣هـ =٢٠٠٢م،

-الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي (ت : ٣٧٧هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جنى (ت: ٣٩٢هـ) ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م .

-درة الغوَّاص في أوهام الخواص ، للقاسم بن علي الحريري (ت : ٥١٦هـ) تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم الطبعة الأولى ، المتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م .

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ) ، تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط ،الطبعة الثانية ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

-ديوان النابغة الذبياني ، اعتنى به حمدو طمَّاس ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

-ديوان الهذليين ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٩٥م .

-رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد بن عبد النور المالقي (ت:٧٠٢هـ)، تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط، الطبعة الثالثة ، دار القلم، دمشق ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

-السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت : ٢١٣هـ) وضع حواشيه وخرَّج أحاديثه الشيخ فؤاد بن علي حافظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م .

-شرح ابن عقيل (ت : ٧٦٩هـ) على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

- شرح التسهيل ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي (ت : ٦٧٢هـ) تحقيق أحمد السيد علي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر (د -ت) .

-شرح التسهيل للمرادي (ت : ٧٤٩هـ) تحقيق ودراسة محمد عبد النبي محمد أحمد عبيد، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

-شرح شذور الذهب لابن هشام (ت٧٦١ هـ) حققه وعلق عليه محمد خير طعمة حلبي، الطبعة الأُولى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ =١٩٩٩م .

-شرح ديوان الفرزدق ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ١٩٨٣م .

-شرح كافية ابن الحاجب ، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت : ٦٨٦هـ) قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-شرح كتاب سيبويه ، لأبي سعيد السيرافي (ت : ٣٦٨هـ) تقديم أحمد حسن مهدلي ، وعلي سيد علي ، الطبعة الأولى ، دار الكب العلمية ، بيروت لبان ، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م .

-الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت : نحو ٤٠٠هـ) اعتنى به خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، لبنان ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ، المعروف بالسمين الحلبي (ت :٧٥٦هـ) تحقيق حمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د -ت)

-غيث النفع في القراءات السبع ، للشيخ علي النوري بن محمد السفاقسي (ت : ١١١٨هـ) تحقيق محمد بن عبد السميع الشافعي الحفيان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

-الفروق اللغوية ، لأبي هلال بن سهل العسكري (ت : ٣٩٥هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلميو ،بيروت ، ٢٠٠٩م .

-الكتاب ، أو كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦م.

-الكتاب، أو كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان (ت:١٨٠هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ، د إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٥هـ) الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

-كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

-كتاب معاني القراءات ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، قدَّم له ، وقرَّظه الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي ، كلية اللغة العربة ، جامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) ، رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م .

-لسان العرب ،لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ) ، الطبعة الثانية، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٣م

-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزري (ت :٦٣٧ هـ) حققه وعلق عليه الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .

-مجاز القرآن ، لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثَّنى التيمي (ت : ٢١١هـ) تحقيق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

-المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المعروف بابن سيده (ت : ٤٨٥هـ)تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م

- مشكل إعراب القران ، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ) تحقيق ياسين محمد السواس، دمشق ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت : ٧٧٠هـ) دار الكتب العلميو ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م .

-معاني النحو ، للدكتور فاضل مهدي صالح السامرائي، بغداد ١٣٨٦هـ-١٩٨٧م

-معاني القران ،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت:٢١٥هـ) وضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-معاني القران ، لأبي زكريا زياد بن عبد الله الفراء (ت:٢٠٧هـ) وضع حواشيه وفهارسه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- معاني القران وإعرابه ، لأبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري (ت:٣١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (د -ت).

-المفردات ي غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ) ضبطه هيثم الطعيمي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م .

-مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) تحقيق أنس محمد الشامي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

-المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية ، المشهور بشرح الشواهد الكبرى ، لبد الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت : ٨٥٥هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٤م .

المقتضب ، لمحمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ) تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب، بيروت (د -ت) .

الملخص في إعراب القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت: ٥٠٢) تحقيق د -يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

-النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت : ٦٠٦هـ) الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان البلخي(ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ =٢٠٠٨م .

- الوسيط في تفسير القران المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.